# الفصل الثانى

## ملامح الإعجاز الطبى
## فى الوقاية من الأمراض

- المبحث الأول : الاعتدال فى تناول الملذات
- المبحث الثانى : فى المحرمات من الأطعمة والمشروبات
- المبحث الثالث : وسائل إيجابية فى الوقاية من الأمراض

# المبحث الأول

## الاعتدال فى تناول الملذات

قال سبحانه وتعالى: ﴿ وكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (١) .

وقال عز وجل: ﴿ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلاَ تَطْغَوْا فِيهِ ﴾ (٢) .

من معجزات القرآن والسنة النبوية ، العمل على منع المرض قبل وقوعه لأن معافاة جسم الإنسان ، والحرص على سلامته ، من كل داء من أهم تعاليم الإسلام الحنيف · وهذا هو المعروف فى الطب الحديث بالوقاية ، أو الطب الوقائى · وقد أطلق عليها قديما ( الحمية ) بمعنى حماية الإنسان مما قد يصيبه من علل وأمراض تعوقه ، أو تقعده عن العمل والانتاج فى شتى المجالات ·

والإسلام دين يدعو إلى العمل ، والابتكار ، والإبداع : ﴿ وَقُلِ أعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ والمؤْمِنُونَ ﴾ .

ومن الإبجديات الأولى للصحة الوقائية ، عدم الإسراف فى الطعام والشراب فالآية الكريمة السابقة صريحة فى الدلالة على النهى عن الإسراف ، فى المأكل والمشرب ؛ لأنه عز وجل لا يحب المسرف على وجه الإطلاق فى أى شأن من شئون النشاط الإنسانى · دينيا كان أو دنيويا ·

وهذا هو سيد الخلق والمرسلين، الحريص الرءوف بأمته يصف المؤمن بأنه عفيف النفس قنوع ، إذا أكل ليس بالشره ولا بالجشع، فيقول فى حديث رواه عبيد الله عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ : «إن المؤمن يأكل

---

(١) سورة الأعراف : الآية ٣١ · (٢) سورة طه : الآية ٨١ ·

فى معى واحد وأن الكافر أو المنافق - فلا أدرى أيهما قال عبيد الله - يأكل فى سبعة أمعاء » [1] كما يقول عليه الصلاة والسلام « ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه ، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فإن كان ولابد فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه » رواه أحمد والترمذى وابن ماجه وإسناده صحيح .

والإسراف أو التبذير بمعنى مجاوزة الحد الشرعى مرفوض ، وممنوع إسلامياً فالظلم بجميع صوره ، وأشكاله ، وفى أى عصر من العصور تجاوز وتعد واختراق لحدود الله عز وجل . ولذلك حاربه الإسلام . وطالب بالتصدى له . ودحر نحوره ، فماذا قال القرآن الكريم عن فرعون النموذج ، والمثال للحاكم الطاغية الذى تجسد فيه جبروت الحكم المستبد ، قال فيه عز وجل ﴿ وإنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى الأَرْضِ ، وَإِنَّه لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ [2] ﴾ وقال سبحانه فى شأن كل مسرف : ﴿ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ [3] ، ﴿ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾ [4] .

هذا هو بعض مواقف الإسلام من الإسراف والتبذير على العموم والإطلاق ، والإسراف فى الطعام والشراب جزء من موقف إسلامى عام .

وقد جاء الطب الحديث بعد قرون عديدة ، من التنزيل الربانى ، ولم يكن أمام هذا الطب الوليد إلا أن يستفيد مما قرره ، وأثبتته المعجزة الطبية فى الإسلام . فشرح لنا الطب الحديث ، بوسائله المتعددة ، وإمكاناته المتوافرة واكتشافاته الجديدة فى مجالات المرض والدواء وطب الغذاء . شرح لنا أضرار الإسراف فى الطعام والشراب صحياً وطبياً . فمما قاله هذا الطب « إن الإكثار من الطعام يصيب المعدة بالإرهاق ، والكسل عن الهضم ، وتخمر

---

(١) فتح البارى .
(٢) سورة يونس : الآية ٨٣ .
(٣) سورة غافر : الآية ٢٨ .
(٤) سورة غافر : الآية ٤٣ .

الأغذية ، وقد يحدث القرحة ، والالتهابات ، فى المعـدة والمرىء ، والإثنى عشر ، وكثيراً ما تتمدد المعدة بسبب زيادة الطعام ، وتحدث فيها جيوب خارجية يترسب فيها الطعام الزائد ، ويتعفن · وتحدث هذه الأمراض كلها عن الأكل الزائد » [١] .

ومن الأمراض - التى يسببها الإسراف فى الطعام « التهاب البنكرياس الحاد المزمن - تصلب الشرايين نتيجة الدهنيات بكثرة - داء النقرس الناتج عن تناول اللحوم · والخضراوات بكثرة - ارتفاع ضغط الدم · خاصة عند الإكثار من تناول الأملاح - داء السكر · ويحدث عند تناول السكريات بكثرة خصوصاً عند الأشخاص المصابين بالسمنة » [٢] والإسراف فى الأكل لا تقتصر مضاره على صحة الإنسان الجسمية والعضوية وإنما تمتد هذه المضار إلى صحة الإنسان النفسية ، فتتولد عن الإسراف فى الأكل التخـــمة ، والكسل والخمول · فها هو الإمام الجليل ابن القيم يقول مفنداً مضار الإسراف فى الأكل « فإنه - أى الإسراف فى الأكل - يثقله - أى القلب - من الطاعات ويشغله بمزاولة مؤنة البطنة ، ومجادلتها حتى يظفر بها · فإذا ظفر بها شغله بمزاولة تصرفها · ووقاية ضررها والتأذى بثقلها · وقوى عليها مواد الشهوة ، وطرق مجارى الشيطان ووسعها · ثم يقول « ومن أكل كثيراً · شرب كثيراً · فنام كثيراً · فخسر كثيراً » [٣] .

* * *

(١) الوجيز فى الطب الحديث ·
(٢) القرآن والطب الحديث ·
(٣) مدارج السالكين جـ ١ ·

# المبحث الثانى

# فى المحرمات من الأطعمة والمشروبات

## ( أ ) تحريم لحم الخنزير :

لقد كان تحريم الخنزير ، حفاظاً على صحة الإنسان وحماية لها من كثير من الأمراض والعلل ، فهذا التحريم مثل تحريم الميتة والدم - كما سيأتى .

ولكن بعض المفتونين بمنجزات الحضارة الغربية ، والمبهورين ببريق مدنية أوربا وأمريكا ، ربما لا يستسيغون تحريم لحم الخنزير والخمور ، لأنهم يرون فى الغرب وأمريكا ، قد أباحوا كل شىء ، وهم - كما هم - المثال والنموذج فى التقدم ، والازدهار ، والتفوق ، فى جميع أنماط الحياة ، اقتصادياً ، وعسكرياً واجتماعياً ، وتكنولوجياً ، وعلمياً ، وثقافياً ، وصحياً ، ولا يقف الأمر عند هذا الحد ، بل إن الشعوب الأخرى ترزخ فى آثار التخلف والفقر والجهل ، فلم تمنع استباحة المحرمات الغرب وأمريكا من التقدم ، والثراء ولم يمنع اجتناب المحرمات العرب والمسلمين تخلفهم عن ركب التقدم ، ولم يكن هذا الاجتناب سبباً فى اللحاق بالأمم التى خطت خطوات واسعة فى التفوق فى جميع مجالات الحياة على من سواهم من الأمم المتخلفة .

ولكى نجيب هؤلاء وأمثالهم من الذين فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً - علينا أن نحاول تقويم الحضارة الغربية . تقويماً موضوعياً لا يعرف الانحياز - أو التعصب .

لا يختلف اثنان على أن الحضارة الغربية أفادت الإنسانية ، ومنحتها كثيراً من المزايا المادية ، التى كان يفتقدها الإنسان فى العصور الماضية وهذه المزايا

المادية ربما تكون واضحة وجلية فيما وفرته علوم العصر الحديث فى مجالات التنقل ، والمواصلات ، والفضاء · وثورة الاتصـــالات بجميع أشكالها ، وأنواعها · وبرامج الكمبيوتر · والثورة العلمية فى ميادين الطب ، والهندسة المدنية ، والعسكرية ، والهندسة الوراثية وعلم البحار وغيرها من الفنون التى يسرت حياة الإنسان · وأمكن للإنسان أن يعبر القارات والمحيطات دون ما يلقى عناء جسديا ولا شقاء بدنيا· نعم إن المدنية الغربية أعطـت للإنسان راحة بدنه ، ولكنها أى هذه الحضارة سلبت روح الإنسان ، ووجدانه ومشاعره · فصار هذا الإنسان المسكين كالآلة أو الماكينة الصماء ·

وقد كان من الطبيعى - فى ظل هذه الحضارة المادية - تجريد الإنسان من روحه وتفريغه منها ، لأن الحضـارة الغربية أسيرة للأفكار الشيطانية لتشارلزداروِن ، وسيجموند فرويد ، وكارل ماركس ·

فهؤلاء الثلالثة تدنوا بالإنسان وامتهنوه ، فالأول ادعى تطور أصل الإنسان ونشوءه من الحيوان ·

والثانى : أرجع سلوك الإنسان ودوافعه إلى الغريزة الجنسية ، فهذه الغريزة - فى نظر فرويد - هى المسئولة الأولى عن كل ما يصدر من الإنسان من سلوكيات ، وبلغ بفرويد السفه والتهور إلى أن يفسر امتصاص الطفل الرضيع أصبعه برغبة الطفل فى الإشباع والارتواء الجنسى ·

والثالث : وهو كارل ماركس - بلغ من احتقاره للبشر أن جعله ترسا فى دولاب إنتاج المصنع - متجاهلا الإنسـان كمشاعر ونفحة من روح خالقه سبحانه ·

هؤلاء الثلاثة هم الذين شقيت بهم الحضارة الغربية ، وبمقولاتهم واختراعاتهم المجنونة التى حولت الإنسان - من كائن كرمه الله تعالي لكى يعمر الأرض بعبادته ، ويزرع السلام ، ويبنى الحياة بالعدل والتراحم والمودة ، ولا يد مرها بالحروب ، والقتل والتخريب إلى كائن يعبد القيم المادية والإستهلاكية ولا يؤمن إلا بما تدركه الحواس الخمس ، ويعيش فريسة لغرائزه وشهواته الحيوانية أسيرا لأنانيته وأحقاده ·

وحضارة قوامها حيوانية الإنسان تطورا - كما يدعى دارون - أو غريز يا كما يقول فرويد - أو ترسا فى آلة - كما يريده ماركس · حضارة بمثل هذه المواصفات لا بد أن تفرز مزيداً من إراقة دماء البشر · « فى حـــربين عالميتين و ٣٠ حرباً أهلية » ، وقتل ٣٣ مليون شاب فى سبيل الحروب القومية والنظرية ( قتل ٨ ملايين جندى فى الحرب العالميــة الأولى ، قتل ١٣ مليون شاب مدنى ، ١٩ مليون جندى فى الحرب العالمية الثانية ، وقتل ١٥ مليون صينى فى الحرب اليابانية الصينية ) ·

« قتل ستالين رميا بالرصاص ٢٥ ألف ضابط ومدنى بولندى بقرار خطه بيده يوم ١٣ مارس ١٩٤٠ » [١] .

ولقد كان الدكتور الكسيس كاريل الذى عاش فى منتصف القرن العشرين صادقاً حين كشف مساوىء وسلبيات الحضارة الغربية فى كتابه « الإنسان ذلك المجهول » نعم كان الرجل صادقاً لأنه « شخص » هذه الحضارة بعين الطبيب والعالم المثقف المحايد غير المنحاز إلا للحقيقة العلمية المجردة من أهواء التعصب والانحياز ·

فالدكتور كاريل العالم والطبيب الحائز على إجازة الطب · والذى مارس التدريس فى جامعة ليون بفرنسا ، واشتغل فى معهد رو كفلر للأبحاث العلمية بنيويورك والحائز على جائزة نوبل لأبحاثه الطبية عام ١٩١٢ م · الدكتور كاريل لم يفتتن ولم يغتر بالحضارة الغربية مثل غيره من الذين يعتقدون كل ما يلمع ذهبا · وإنما فرز هذا البحاثة مبيناً ماهية هذه الحضارة قائلاً : « إن الحضارة العصرية تجد نفسها فى موقف صعب ، لأنها لا تلائمنا ، لقد أنشئت دون آية معرفة بطبيعتنا الحقيقيـــة إذ أنها تولدت من خيالات الاكتشافات العلمية · وشهوات الناس، وأوهامهم ونظرياتهم ، ورغباتهم ، وعلى الرغم من أنها أنشئت بمجهوداتنا، إلا أنها غير صالحة بالنسبة لحجمنا وشكلنا » [٢] .

---

(١) من كتاب « الشيوعية أكبر فشل إنسانى فى التاريخ » تأليف زيجنيوبريجنسكى مستشار الأمن القومى السابق لأمريكا ( وهذه الفقرة نشرت مترجمة - بجريدة الأهرام ) ·

(٢) ترجمة : شفيق أسعد فريد ·

والذين يخترعون نظريات ومبادىء وافكارا ، معتقدين أنها تخرج الإنسانية من الظلمات إلى النور ، أو هذه الأفكار وتلك النظريات كفيلة بصنع الخير والسعادة للبشرية ، هؤلاء المخترعون - إذا ظنوا ذلك · واهمون وغارقون فى خيالاتهم التى لا تسمن ولا تغنى من جوع ·

« وهؤلاء النظريون ، يبنون حضـــارات ، بالرغم من أنها رسمت لتحقيق ، خير الإنسان إلا أنها تلائم فقط صـورة غير كاملة ، أو مهولة للإنسان · إن نظم الحكومات التى أنشأها أصحاب المذاهب فى عقولهم عديمة القيمة ، فمبادىء الثورة الفرنسية ، وخيالات ماركس ولينين تنطبق فقط على الرجال الجامدين ( غير الأحياء أو المتحركين ) فيجب أن نفهم بوضوح أن قوانين العلاقات البشرية ، مازالت غير معروفة ، فإن علوم الاجتماع ، والاقتصاديات علوم تخمينية افتراضية » [1] .

وقد بنيت الحضارة الغربية على الأسس المادية التى تؤمن بكل محسوس فقط ، لأن هذه الحضارة نتيجة أيضاً للعلم التجريبى ، ومن ثم نحّت هذه الحضارة ، القيم الأخلاقية أو الإنسانية جانبا ، وألقتها وراء ظهرها ، « يكاد المجتمع الحديث أن يهمل الاحساس الأدبى إهمالاً تاماً ، بل لقد كبتنا مظاهره فعلاً ، ·· فقد أشربنا جميعا الرغبة فى التخلص من المسئولية أما أولئك الذين يميزون الخير من الشر ، ويعملون ، ويتحفظون ، فإنهم يظلون فقراء وينظر إليهم بضيق ، وتأفف ، والمرأة التى أنجبت عدة أطفال ، وأوقفت نفسها على تعليمهم · بدلا من الاهتمام الخاص بنفسها تعتبر ضعيفة العقل وإذا أدخر رجل بعض المال لزوجته ، وتعليم أولاده ، سرق منه هذا المبلغ بواسطة الماليين أصحاب المشروعات ، أو أخذته الحكومة » [2] .

من مساوىء الحضارة المادية أيضاً · اختفاء الأسرة وطابعها · بعد أن

---

(١) المصدر السابق · (٢) المصدر السابق ·

كانت ضحية لخروج المرأة إلى ميدان العمل ، تلبية لمطالب الحياة الحديثة · وكان ذلك لزاماً على الأم أن تترك أطفالها فى دور الحضانة ، ويحدثنا الدكتور كاريل عن سلبيات هذا الجانب الاجتماعى فيقول : « لقد ارتكب المجتمع العصرى غلطة جسيمة ، باستبداله تدريب الأسرة بالمدرسة ، استبدالا تاماً ، ولهذا تترك الأمهات أطفالهن لدور الحضانة · حتى يستطعن الانصراف إلى أعمالهن · أو مطامعهن الاجتماعية أو مباذلهن ، أو هواياتهن الأدبية ، أو الفنية · أو للعب البريدج ، أو ارتياد دور السينما · وهكذا يضيعن أوقاتهن فى الكسل ، إنهن مسئولات عن اختفاء وحدة الأسرة ، واجتماعاتها التى يتصل فيها الطفل بالكبار ، فيتعلم منهم أموراً كثيرة · إن الكلاب الصغيرة التى تنشأ مع أخرى من نفس عمرها فى حظيرة واحدة · لا تنمو نمواً كاملا · كالكلاب الحرة التى تستطيع أن تمضى فى أثر والديها · والحال كذلك بالنسبة للأطفال الذين يعيشون وسط جمهرة من الأطفال الآخرين · وأولئك الذين يعيشون بصحبة راشدين أذكياء · لأن الطفل يشكل نشاطه الفسيولوجى · والعقلى ، والعاطفى · طبقاً للقوالب الموجودة فى محيطه إذ أنه لا يتعلم إلا قليلاً عن الأطفال الذين فى سنه وحينما يكون مجرد وحدة فى المدرسة فإنه يظل غير مكتمل ، ولكى يبلغ الفرد قوته الكاملة ، فإنه يحتاج إلى عزلة نسبية واهتمام جماعة اجتماعية محددة تتكون من الأسرة »[1] والمجتمعات الغربية التى استحلت لحم الخنزير وتعيش فى رفاهية من العيش مادية · وفى مجتمع الوفرة والرخاء ، والتقدم الصناعى · هذه المجتمعات بقدر ما تتمتع بالنعيم المادى فإنها تعانى من الآلام النفسية أو العصبية « فقد بلغت حوادث الانتحار فى السويد ، والنرويج - وهما من دول الرفاهية - ٢٠ فى كل ١٠٠ ألف ، وفى أمريكا ١٩ وفى انجلترا وفرنسا ١٨ ، أما فى العالم الغربى ، فلا تزيد النسبة على ٢ كل ١٠٠ ألف « إحصائية دولية »[2] وإذا تحدثنا عن مضار لحم الخنزير على

(١) المصدر السابق ·

(٢) الطب الوقائى فى الإسلام · د · أحمد شوقى الفنجرى ·

صحة الإنسان البدنية ، والنفسية فنقول من المعروف - علمياً - أن الخنزير يصاب بأنواع من الديدان · منها :

دودة التنيا ، والدودة الشريطية ، وقد يزعم بعض المتفلسفين من عشاق الثقافة الغربية ، أن الدودة الشريطية موجودة فى لحم البقر أيضاً · ونقول لهؤلاء القوم : إن الدودة الشريطية فى لحم البقر إذا وصلت إلى الأمعاء ، أضرارها محدودة ، تزول بأدوية ، أما دودة الخنزير فلا تقتصر بوجودها فى أمعاء الإنسان « بل تكمل دورتها فى جسم نفس الشخص المريض وفى جسم أى إنسان آخر · إذ تخرج الأجنة اليرقات من البيض ، وتخترق جدار الأمعاء إلى الدورة الدموية ، وتتوزع على الأجهزة الحيوية للجسم حيث تتحوصل اليرقة فى غلاف سميك الجدار، وقد تصل إلى حجم حبة الفول (٢سم تقريباً)ومما يزيد خطورتها أنها تفصل التحوصل فى الجهاز العصبى» (١).

المدافعون عن لحم الخنزير لا يلقون أسلحتهم ، فربما شهيتهم لهذا اللحم المحرم أذهبت عقولهم ، فقد انبروا للدفاع قائلين : إن وسائل الطهو الحديثة والجيدة التى تمتاز بالحرارة المرتفعة ، قادرة على قتل الدودة الشريطية ، وحينئذ فلا وجه للتحريم · ولكن الطب الحديث الذى يقدسونه ، يرد عليهم بالحجج والحقائق العلمية والطبية التالية :

١ - « الطهو الجيد للحوم ينبغى أن يكون فى درجة حرارة لا تقل عن ٧٠م ولمدة ٣ ساعات يمكن أن يقتل فيها جميع الديدان فى لحوم الغنم والبقرة » (٢) .

٢ - « لحم الخنزير يصل إلى الاستواء ، والطهو الجيد فى مدة ، ودرجة حرارة أقل من غيره من اللحوم » .

---

(١) المصدر السابق · (٢) المصدر السابق .

٣ - لحم الخنزير يكون صالحاً للأكل ، قبل أن تموت الديدان وخاصة الديدان الموجوده داخل هذا الحيوان » [١] .

٤ - الوقاية المضمونة من الإصابة لهذه الدودة هى فى عدم أكل لحم الخنزير [٢] .

( أ ) الأمراض العضوية التى تنتج عن أكل لحم الخنزير :

١ - الدودة الشريطية تسبب اضطرابات مختلفة فى الجهاز الهضمى مع ضعف عام ونحول واصفرار الوجه .

٢ - يحتوى لحم الخنزير على ١ ر ٢٨ ٪ من الدهون فى حين أن لحم البقر يحتوى على ٥ر٤ ٪ من الدهون ، لذلك يكون لحم الخنزير أعسر هضماً ويؤثر على الأمعاء .

٣ - يحتوى لحم الخنزير على كمية كبيرة من حامض البوليك ، خلافاً لسائر الحيوانات ، فكل الحيوانات تستطيع أن تفرز ( ٩٠ ٪ من هذه المادة بمساعدة الكليتين ، إلا أن الخنزير لا يتمكن من إفراز أكثر من ٢ ٪ .

٤ - يسبب لحم الخنزير ، التهاب السحايا ، والمخ نتيجة الإصابة بالميكروب السبحى الكثير الشيوع فى لحم الخنزير » [٣] .

(ب) الأمراض النفسية التى تتسبب من لحم الخنزير :

١ - أكل لحم الخنزير يصاب بموت النخوة ، وعدم الغيرة على أهله .

٢ - لما كان الخنزير من الحيوانات ، أكلات اللحوم ، فهو أكثر عنفا ، وشراسة من الغنم والبقر ، وتنتقل هذه الصـــفات العدوانية إلى آكل لحم الخنزير [٤] .

* * *

---

(١، ٢) المصدر السابق .

(٣) القرآن والطب الحديث د . صادق عبد الرضا .

(٤) المصدر السابق.

لقد تأكد لنا أن الطب الحديث ، وبما حقق من نجاحات هائلة فى عالمه المتعدد الجوانب ، لم يكن إلا مكرّرا ، ومعيداً لما أجمله القرآن الكريم - منذ أربعة عشر قرناً فى كل مجال يعود على الإنسان بالنفع أو الضر فى صحته العضوية والنفسية فالمعجزة الطبية للقرآن تنحصر فى هداية العالمين إلى ما تصح به أبدانهم فيهتدون بها ، وإلى ما يضرهم فيجتنبونه · كل ذلك فى إيجاز بليغ يغنى عن الإسهاب والإطناب ، ولا عجب فإنه الاعجاز القرآنى فى البلاغة والبيان ،والفصاحة والطب أيضاً ·

* *

## (ب) تحريم الخمر :

لما كان الإسلام دين عقيدة وشريعة ، اشترط فيمن يتحمل مسئولية هذه العقيدة والشريعة ، شروطا لا تصح هذه المسئولية بدونها ، وهذه المسئولية هى التكليف فى مفهوم الفقه الإسلامي · وشروط التكليف متعددة ، منها الصحة العقلية للمكلف ·

ولأهمية « العقل » وقيمته الكبرى ، فى علاقة المسلم بربه عز وجل ، وفى علاقته بمجتمعه المسلم ، وغير المسلم ، كان الخطاب القرآنى - فى معظم توجيهاته - موجها لذوى العقول ، أو مثنياً على من يعمل عقله وفكره فيما يعود بالخير ، والمنافع الدنيوية والأخروية ، وكان الذم والتوبيخ من نصيب الذين ألغوا فاعليه عقولهم ، وعطلوها عن دورها ، فى التدبر ، والتفكير والتأمل ·

- فمن الخطاب القرآنى الموجه لذوى العقول ، قوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِى الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِى الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [1] ، وقـــــوله

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٧٩ ·

تعـــالى : ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ ﴾ (١) ، وقوله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الألْبَابِ ﴾ (٢) .

- ومن الآيات التى أثنت على من رزقه خالقه عقلاً ، فأحسن استخدامه وتوظيفه قـــوله تعـــالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الألْبَابِ ﴾ (٣) .

وهناك أيضاً آيات فى القرآن الكريم تعرضت بالذم لمن لا يسمع ، أولا يعقل مثل: ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوابِّ عِنْدَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ ﴾ (٤) ، ﴿ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لاَ يَعْقِلُونَ ﴾ (٥) ، ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ ، وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ ﴾ (٦) .

وكما قلنا - آنفا - إن العقل شرط من شروط صحة التكليف ، فالمكلف لا تقبل ولا تجب عليه عبادة من صلاة ، وصوم ، وحج وغيرها ، ما لم يكن عاقلاً ، ذلك أن العقل أداة ووسيلة للتفكير ، والتدبر ، والتأمل . والتفكير مطلوب إسلامياً . يقول أصدق القائلين سبحانه : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٧) .

مما سبق من الآيات القرآنية يتبين لنا - مؤكداً - أن للعقل فى الإسلام دورا حيوياً ، وفعالاً ، يجب أن يؤديه . هذا الدور ينحصر فى تمييز العاقل بين الحق والباطل ، بين النور والظلام ، بين الصواب والخطأ فى مفهوم الإسلام ، ولمنزلة العقل ، ومكانته الكبرى . كنعمة من الله تبارك وتعالى تسقط - كما ذكرنا سابقاً - التكاليف العبادية عمن حرم هذه النعمة الجليلة .

ولم يقف الإسلام فى بيان خطورة العقل وأهميته عند هذا الحد ، بل

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٩٧ .
(٢) سورة الرعد : الآية ١٩ .
(٣) سورة الزمر : الآية ١٨ .
(٤) سورة الأنفال : الآية ٢٢ .
(٥) سورة يونس : الآية ٤٢ .
(٦) يونس : الآية ١٠٠ .
(٧) سورة النحل : الآية ٤٤ .

نهى عن تغييب العقل وتنحيته ولو اختياريا ، فلا صلاة كاملة لمن غيب عقله أثناء صلاته · فرسول الله ﷺ يقول : «ليس لك من صلاتك إلا ما عقلت» ·

وإذا كان تغييب العقل ، ولو عن طريق الاختيار ممنوعا إسلامياً ، فإن من الأحرى ، والأوجب ، والمنطقى ، أن يكون تغييب هذه النعمة الآلهية وهى العقل · تغييبه بوسيلة محرمة ، وهى الخمر أشد إثما وأكبر جرماً ·

ولقد سميت الخمر لأنها تخامر العقل ، أى تغطيه ، وتحجبه ، وتلغى دوره ولو مؤقتاً ·

فشارب الخمر المسلوب عقله ، يأتى بكل ما يناقض العقل السليم ·

وقد أدرك ذلك الشاعر الجاهلى بفطرته ، بعد أن عاش تجربة ذاتية ، وهو مخمور فقد طعن ابنته فى بطنها - وهو سكران · وسب أبويه · وأعطى الخمار كثيراً من ماله · فلما أفاق · وعاد إليه عقله الغائب · أخبر بما فعل أثناء سكره ، فندم وخجل من فعلته الشنيعة · ثم حرم الخمر على نفسه بعد أن قال :

رأيت الخمر مفسدة وفيها ... خصال تغضب الرجل الحكيما

فلا والله أشربها صحيحاً ... ولا أشفى بها أبداً سقيماً

ولا أعطى بها ثمناً حياتى ... ولن أشقى بها أبداً ندیماً

فإن الخمر تفضح شاربيها ... وتوردهم بها الأمر العظيماً

هذا الشاعر الجاهلى هو : قيس بن عاصم المنقرى »[1] .

* * *

(١) الأطعمة القرآنية ·

ورب مخدوع ببريق المدنية الغربية ، يزعم لنا متشدقا أن كثيرين ممن يشربون الخمر ، لايتأثرون بمفعول الخمر · بل يكونون فى قواهم العقلية الكاملة ، فيمارسون نشاطهم الحياتى · دون أن يصـــدر منهم ما يشين سلوكهم ، أو يعيب تصرفاتهم ·

ونجيب أمثال هؤلاء المخدوعين أو المغرورين ، والمخدرين السكارى نجيبهم بأن للمواد الكحولية المكونة للخمور تأثيراً فعلياً على الجهاز العصبى ، والعقلى لشارب الخمر ·

هذا التأثير هو الإسكار ، وهو ما نطلق عليه بتغييب العقل ، وهو رد الفعل الطبيعى لمفعول الخمر ، والنوعية الشاذة التى لا يتأثر جهازها العصبى ، بهذه المواد الكحولية هذه النوعية من البشر استثناء من القاعدة التى تحكم الفطرة السليمة ، فليست مقياساً منطقياً ، ولا حكما عادلاً على براءة الخمور من علة الاسكار ، وتغييب العقل ·

وإذا كان هذا المنطق المعوج صحيحاً · فلما جرمت - الدول الغربية التى تبيح الخمر - قيادة السيارات فى حالة سكر قائديها -- لأن هذه الدول تعلم جيداً مفعول الخمر المرير فى القوى العقلية لكل شارب وبدون استثناء ·

ونرى الإعجاز الطبى فى القرآن واضحاً وجلياً فى تحريم الخمر حيث أن القرآن الكريم أكد أن فلاح المجتمع مرتبط بالعمل بتوجيهاته العظيمة ، وفى تحريم الخمر فلاح الأمة الإســـــلامية : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُو إِنَّمَا الخَمْرُ والمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوه لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [1] ، وقد جاء الطب الحديـــث بقرون عديدة · فعلل الحكمة الطبية ، والاجتماعية فيما حرمه القرآن منذ أربعة عشر قرناً ·

---

(١) سورة المائدة : الآية ٩٠ ·

فمما قاله هذا الطب بشأن مضار الخمر الصحية : « أثبتت التجارب على الإنسان ، والحيوان ، أن أكثر خلايا الجسم تأثراً ، بالكحول ، هى بالدرجة الأولى الملايين العديدة ، من الخلايا العصبية ، فى قشرة الدماغ وجذعه وبالدرجة الثانية الخلايا العصبية فى النخاع الشوكى » (١) .

والتأثير السلبى على الملايين العديدة من الخلايا العصبية فى قشرة الدماغ وجذعه وعلى الخلايا العصبية فى النخاع الشوكى ، يتبعه بالتالى تأثير سلبى ·- على عقل شارب الخمر · ورأينا مما سبق ، حرص الإسلام الشديد على سلامه عقل الإنسان باعتباره الوسيلة الجوهرية والمهمـــة ، التى يميز بها المرء بين أسباب ، وعوامل النجاح والتقدم ، وبين مبررات وبواعث الفشل والإخفاق والتخلف فى حياته ودنياه ، كما أن استخدام العقل استخداماً جيداً ، وفى إطاره المأمور ، والمنهى إسلامياً ، سبيل إلى الفوز العظيم والمغفرة ، والرضوان من الله تعالى عز وجل فى الحياة الآخرة ·

وندرك هنا معجزة القرآن الطبية ، فلم يحرم ما حرمه إلا لأن هذا المحرم ارتكابه شر مستطير على الإنسان فى حياته ، وما بعد حياته ·

صحيح أن القرآن والسنة لم يخوضا ، ولم يفصلاً الأسباب الطبية والصحية لتحريم الخمر ، فهذه ليست رسالة الكتاب والسنة ، وليست من مقاصدهما الكبرى ، كما أن المسلمين الأوائل لم يكونوا يجادلون كثيراً فيما جاء به القرآن والسنة النبوية ، فإيمانهم اليقينى بالكـــتاب والسنة كان يحول بينهم ، وبين هذا الجدال الذى لا طائل تحته ، بل كانوا ﴿ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ، وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُوا الأَلْبَابِ ﴾ (٢) ، نعم إنهم مؤمنون حقاً لأنهم أولو الألباب · فألبابهم صحيحة ، وسليمة ، ونقية ، لأنها حية بطاعة الله تعالى ، وطاعة رسوله الكريم ﷺ ·

---

(١) التغذية والمشروبات الروحية · د · أمين رويحه ·

(٢) سورة آل عمران : الآية ٧ ·

واغتيال الخمر وتدميرها لعقل الإنسان لا يقفان عند هذا الحد الذى أسلفناه ، بل إن الخمر تشل إرادة الإنسان الايجابية ، وتصيبها بالضعف والخور .

هذا ما أكده طب القرن العشرين قائلا « ... ويسرى مفعول الخمر ، من أعلى إلى أسفل ، أى أنها تؤثر على الوظائف الأرقى فى المخ أولا ، ولذلك فإن أول شىء يتأثر فى الإنسان ، بالكميات القليلة جداً من الخمر . هو الإرادة ، وضبط النفس ، والسلوك الاجتماعى ، فإذا زادت الكمية تأثرت قدرته على التركيز الذهنى وهكذا »[1] .

لقد نهانا الله تعالى عن الخمر ، لأن الخمر رجس من عمل الشيطان ، ولأن اجتناب الخمر . مناط الفلاح فى الدنيا والآخرة ، كما قال ذلك أصدق القائلين ، فالخمر مسلبة للعقل ، مهلكة لصحة شاربها . والأمم المتحضرة لا تنهض إلا بصحة أبنائها العقلية والجسمية .

من أعضاء جسم الإنسان التى تتأثر - سلبا - بشرب الخمر « القلب والأوعية الدموية : تتسبب الخمر فى زيادة عدد نبضات القلب حيث أن نسبة ١ ٪ من الكحول تؤدى إلى زيادة نبضات القلب ١٠ نبضات فى الدقيقة عن المعدل الطبيعى ، كما ثبت أن الكحول يؤدى إلى إجهاد عضلات القلب ومعه يمكن حدوث الوفاة »[2] .

« بالنسبة لخلايا الدم : يؤدى الكحول إلى هدم كرات الدم البيضاء والحمراء على حد سواء، فعند إضافة قطرة كحول فى ماء بنسبة١٪ على نقطة دم وجد أن كرات الدم الحمراء تحولت إلى صفراء، بينما قل نشاط كرات الدم البيضاء »[3] .

« بالنسبة للكبد : يتسبب الكحول فى المرض المعروف باسم تليف الكبد

---

(١) الطب الوقائى فى الإسلام .
(٢) الأطعمة القرآنية .
(٣) المصدر السابق .

الكحولى ، وهو منتشر جدا فى البلاد الغربية ، ونادر جداً فى بلاد المسلمين - وهذا من فضل الله ورحمته - حيث يموت عدد كبير من خلايا الكبد وتتحول إلى« نسيج ليفى »[1] .

سبق القول إن الخمر مذهبة للعقـل ، وإذا غاب العقل ولو لفترة محدودة ، فإن غيابه هـــذا يسبب العداوة والبغضاء بين من جمعهم شرب الخمر · يقــول الحق تبارك وتعالى : مبينـــا عواقب شرب الخمر الوخيمة : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ العَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِى الخَمْرِ وَالمَيْسِرِ ، وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ ، وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنْتُم مُنْتَهُونَ ﴾[2] .

ويقول الإمام فخر الدين الرازى رضي الله عنه مفسراً هذه الآية الكريمة · مبينا كيف يؤدى شرب الخمر إلى العداوة والبغضاء ( اعلم أن الظاهر فيمن يشرب الخمر أنه يشربها مع جماعة ، ويكون غرضه من ذلك الشراب أن يستأنس برفقائه فكان غرضه من ذلك الاجتماع · تأكيد الألفة والمحبة ، إلا أن ذلك - فى الأغلب ينقلب إلى الضد ، لأن الخمر يزيل العقل ، وإذا زال العقل ، استولت الشهوة والغضب ، وعند استيلائها تحصل المنازعة بين أولئك الأصحاب · والمنازعة ربما أدت إلى الضرب والقتل والمشافهة بالفحش ، وذلك يورث العداوة والبغضاء»[3] .

* * *

إن معجزة القرآن مصدرها أنه كتاب لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » وقد سئل أحد الأعراب لماذا آمنت بمحمد ﷺ فقال : لم يأمر العقل بشىء إلا وقد أتى به · ولم يرض العقل عن شىء إلا وقد نهى عنه ·

* *

---

(١) المصدر السابق · (٢) سورة المائدة : الآية ٩١ ·

(٣) من مفاتيح الغيب بتصرف ·

## (جـ) تحريم الميتات والدماء المسفوحة :

لقد أحل الله تعالى لعباده الطيبات من الرزق ، وحرم عليهم الخبائث ، وإنما أحلت لنا الطيبات لأن الطيبات جمع طيبة ، وهى تطلق على المستلذ ، مما لا ضرر فيه وعلى النطيف ، وعلى مالا أذى فيه ، وعلى الحلال فمن الأول قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ ﴾ ، ومن الثانى : ﴿ فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً ﴾ ، ومن الثالث هذا يوم طيب ، وهذه ليلة طيبة ، ومن الرابع قوله تعالى : ﴿ أَنْفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ [1] ، فمعانى الطيبات كلها لا تخرج ، ولا تتعدى كل ما كان حسنا وخيراً وجميلاً ولذلك كان الطيب حلالاً . والخبيث حراماً . لأنه نقيض الطيب ، ومعانى الخبيث محصورة فى كل قبيح وسيىء ومضر . قال تعالى : ﴿ وَلاَ تَيَمَّمُوا الخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ ﴾ [2] ، ﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِى خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِدًا ﴾ [3] .

ولقد حرم الله تعالى ما حرم فى آية : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ ﴾ الآية لآثاره السلبية والسيئة على صحة الإنسان ، فالتحريم هنا يدخل فى نطاق الصحة الوقائية أو الطب الوقائى وهو « علم المحافظة على الفرد والمجتمع فى أحسن حالاته الصحية » [4]، ومن يتمعن فى جوهر الإسلام، وجميع مبادئه ، وتعاليمه يرى أنها قائمة على محاربة وسائل الشر بجميع أشكاله وصنوفه ، قبل حدوث ووقوع مالا يحمد عقباه فتحريم جميع ما حرمه الله عز وجل ، إنما كان لمصلحة صحية ونفسية ، واجتماعية أو اقتصادية تعود على الإنسان ، ويجب أن نؤمن بذلك ، إيماناً يقينياً ، والآن فلنستعرض الحكمة الشرعية والطبية من المحرمات التالية !

---

(١) فتح البارى جـ ٩ كتاب الأطعمة .
(٢) سورة البقرة : الآية ٢٦٧ .
(٣) سورة الأعراف : الآية ٥٨ .
(٤) الطب الوقائى فى الإسلام .

## ١ - الميتة :

قال الإمام فخر الدين الرازى رضي الله عنه مبيناً الحكمة الطبية من تحريم أكل الميتة « ... وأعلم أن تحريم الميتة موافق لما فى العقول لأن الدم جوهر لطيف جدا ، فإذا مات الحيوان حتف أنفه احتبس الدم فى عروق الحيوان . وتعفن وفسد ، وحصل من أكله مضار عظيمة » واحتباس الدم فى عروق الحيوان ، وتعفنه ، وفساده ، تكون بيئة صالحة لنمو الميكروبات والجراثيم التى تنتقل إلى من يأكل هذا الحيوان الميت . وقد أكد الطب الحديث ذلك موضحاً الآثار والنتائج السيئة التى تعود على صحة من يأكل الحيوان ميتاً ، فماذا قال الطب الحديث فى شأن تحريم الميتة « من المعـــروف علمياً أن الحيوان لا يموت إلا لسببين : إما الشيخوخة وكبر السن وإما المرض ، فإذا كان السبب هو المرض ، فالإنسان قد يتعرض للعدوى بأحد طريقين : إما عن طريق انتقال الميكروب مباشرة من اللحم إلى الإنسان إذا لم يكن اللحم قد طهى جيداً ، وإما عن طريق السميات التى يفرزها ميكروب المرض ، والتى لا يمكن أن يقتلها الطهو ، وكثيراً ما يكون موت الحيوان بسبب أكله بعض الأعشاب السامة ، أو المواد الكيميائية القاتـلة وفى هذه الحالة فإن أثرها يبقى فى لحـــمه ويصيب من يأكله » [١] .

والطيبات من الرزق ، التى أحلها الله تعالى لعباده ، تحتوى على العناصر الغذائية الجيدة ، التى تلعب دوراً كبيراً فى نمو جسم الإنسان ، وحمايته من كثير من الأمراض التى يتعرض لها صحة الإنسان .

فإذا فقد الطعام هذه الصلاحية ، وفقد وظيفته فى تنمية الجسم ووقايته من أى مرض أو علة وناهيك عن ضرره ، وتدميره للصحة العامة ، لم يكن طعاماً ولذلك حرمه الإسلام ، « الحيوان الذى يهرم يصاب بتليف فى جميع أنسجة جسمه ، فيفقد فيمته الغذائية ، ويصبح عسر الهضم » [٢] .

---

( ١ ) الطب الوقائى .  ( ٢ ) المصدر السابق .

وغنى عن البيان ، أن المقصود بالميتة · هى الحيوان الذى مات توا ، ولم يصب لحمه بالتعفن ، لأن الحيوان المتعفن فى غنى عن تشريع لتحريمه فالنفس البشرية تعافه ، وترفضه ·

## الذكاة :

إذا كان أكل الميتة محرماً فى شرع الإسلام ، للأسباب الطبية والصحية ، التى أشرنا إليها سابقاً · فإن الإسلام الذى أباح وحلل الطيبات ومنها لحوم الحيوان والطير · اشترط بالنسبة لهذه اللحوم لكى يكون حلالاً أكلها أن تذبح ذبحاً شرعياً بعد ذكر اسم الله تعالى عليه ·

والذبح أو الذكاة الشرعية فى الإسلام هو « قطع جميع الحلقوم » والودجين من المقدم بمحـــدد بلا رفع للآلة قبل التمام بنية إحلالها » (١) حيث « ثبت أن عملية ذبح الحيوان التى تتم بقطع الأوردة الرئيسة فى الرقبة فقط مع المحافظة على بعض الأوردة والشرايين · تضمن خروج أكبر كمية من الدم فى جسم الحيوان » (٢) .

« أما إذا كانت عملية الذبح خلاف هذه الطريقة الإسلامية ، فإنها تؤدى إلى صدمة عنيفة للحيوان ، يتبعها تجمد الدم فى العروق ، والجسم مع ترسب حامض البوليك في لحم الحيوان المصدوم » (٣) .

والشروط التى وردت فى تعريف « الذكاة » تؤكد مدى حرص الإسلام على صحة الإنسان ، لأنه - كما هو مسلم طبيًا - أن صحة الإنسان وسلامته بدنيا نابعتان ، وتابعتان لنوعية طعامه ، وكميته : فقطع جميع الحلقوم والودجين كفيل كما أكد الطب ذلك بخروج « أكبر كمية من الدم فى جسم الحيوان ، هذه الكمية الكبيرة من الدم لو احتبست فى جسم الحيوان كانت

( ١ ) الشرح الصغير للشيخ الدردير .
( ٢ ) القرآن والطب الحديث د . صادق عبد الرضا
( ٣ ) المصدر السابق .

عامل هدم لصحة الإنسان ،الأمر الذى حرمت الميتة بسبب هذا الاحتباس الدموى كما أشرنا إلى ذلك من قبل [1] » .

كما أن الإسلام كان رحيما بالحيوان المذبوح ، ولذلك اشترط على الذابح أن تكون آلة الذبح حادة ، ولا ترفع هذه الآلة قبل إتمام عملية الذبح، كل ذلك منعا من تعذيب الحيوان تطبيقًا للحديث النبوى الشريف والذى سبق الاستشهاد به ، وهو « إذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة » .

حقا إن الرحمة الإسلامية ليست مقصورة على الإنسان فقط ، وإنما تظلل جميع الكائنات الحية .

## ٢ - الدم :

كثر الحديث فى السنوات الأخيرة - فى جميع وسائل الإعلام - عن مشكلات نقل الدم . أثناء العمليات الجراحية أو بعدها . وما يسببه نقل الدم هذا وخاصة إذا كان ملوثا ، أو إيجابيا باحتوائه على فيروسات مختلفة كالايدز وفيروسات الكبد . ويقف الطب بكل إمكاناته ، ووسائله المتقدمة عاجزًا ، وبلا حراك حيال هذا الدم الملوث .

وإذا كان مجرد نقل الدم من جسم إلى آخر ، وليس اتخاذه طعاما أوجد فى عالم الطب مشكلات لا حل لها ولا خلاص ، فليت شعرى كيف يكون مصير إنسان أكل دما مسفوحا حرمه الإسلام .

إن مجرد التلفظ بكلمة « دم » يبعث فى النفس السوية كل معانى الاشمئزاز والتقزز والاستنكار .

فالفطرة السليمة التى فطر الناس عليها تعاف منظر « الدم » ورؤيته فضلا عن تناوله « غذاء وطعاما » .

---

(١) المصدر السابق .

ولما كان الإسلام دين الفطرة السوية ، فقد كان منطقيًا أن يحرم الدم الذى أبيح استخدامه طعاما ، حين غابت هذه الفطرة السليمة فى حقبة من حقب التاريخ الإنسانى . فقد قال « صاحب [1] الكشاف كانوا - أى أهل الجاهلية - يملأون [2] المعى من الدم ، ويشوونه ويطعمونه الضيف . والله تعالى حرم ذلك عليهم ، والدم المحرم هو الدم المسفوح لقوله تعالى : ﴿ قُلْ لاَّ أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا ﴾ [3] الآن . وإذا كان الدم المسفوح هو الذى يصدق عليه الحكم بالتحريم ، فإن الدم غير المسفوح ليس محرما مثل الكبد والطحال لقوله ﷺ : « أحلت لنا ميتتان ودمان » ، فالميتتان هما السمك والجراد ، والدمان الكبد والطحال .

وكما قلنا سابقا ، فإن تحريم الدم ، يدخل ضمن الصحة الوقائية للإسلام ، لأن الدين الحنيف شديد الحرص على بناء مجتمع أفراده أقوياء صحيا ، وبدنيا ونفسيا ولن يتحقق ذلك ، إلا إذا كان غذاء هذا المجتمع المسلم سليما ، ونظيفًا من جميع الميكروبات التى تفتك بجسم هذا المجتمع . والقرآن الكريم يبين للناس النافع ، والضار من الأطعمة والأشربة ، كما يبين لهم النافع والضار من العقائد ، والأخلاق . والسلوكيات ، والشرائع الباطلة ، لأنه المعجزة السماوية فى الطب ، والبيان ، والبلاغة . والكتاب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه .

نعم تجلت ووضحت معجزة القرآن الطبية ، فى تحريمه للدم المسفوح قبل قرون طويلة ، والإنسانية تجهل الأبجديات الأولى لعلم الطب .

ولم يكن أمام الطب الحديث الذى ولد بعد هذه القرون ، من المعجزة الآلهية إلا أن يردد ما أثبته القرآن ، فلم يضف هذا العلم الحديث الا أن علل

---

( ١ ) مفاتيح الغيب . ( ٢ ) المعدة . ( ٣ ) سورة الأنعام آية : ١٤٥ .

وفصل وذكر أسباب خطورة الدم - سلبيا - من الناحية الصحية · فمما قاله هذا الطب فى هذا الشأن :

(١) الدم أفضل غذاء للميكروبات ، ووسط صالح لنموها · فهو إذن سريع التلوث حتى فى حالة تناوله كغذاء ·

(٢) رائحته كريهة ·

(٣) منظره وشربه يولد القسوة فى نفس الإنسان العادى · ويجعله عرضه لارتكاب الجرائم ·

(٤) يحتوى على نسبة كبيره من البوريك ولفضلات أخرى تضر بالجسم·

(٥) ثقيل التناول وذلك لاحتواء كريات الـدم على نسـبة عالية من الحديد ، مما يسبب آلاما فى المعدة والبطن ويتبع ذلك التقيؤ والإسهال ·

(٦) يؤدى تناوله إلى أضرار تصيب الكبد والمعدة والأمعاء » [١] .

* *

## ( د ) تحريم الزنا واللواط :

من المحرمات التى تعد إحدى حكم تحريمها من قبيل الحفاظ على صحة الإنسان ووقاية لهذه الصحة من كثير من الأمراض العضوية والاجتماعية - تحريم الزنا واللواط وغيرهما من العلاقات الجنسية ، التى تتم خارج إطار العلاقة الزوجية الشرعية ، التى أقرها الإسلام ·

وإذا كان موضوع كتابنا هذا ، هو الإعجاز الطبى فى الكتاب والسنة ، فإنه الإسلام كنظام ، ودين سماوى ، وتصور حضارى ، ومنهج اجتماعى لحياة الإنسان ، له أهداف أخرى ، من وراء تحريمه لأية علاقة جنسية غير شرعية فى منظور العقيدة الإسلامية فمن الثابت قرآنيا ، أن القصد الإلهى من

---

( ١ ) القرآن والطب الحديث باختصار ·

خلق الإنسان الأول كان لتحقيق الخلافة على هذه الأرض ، يقول الخالق سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الأَرْضِ خَلِيفَةً ، قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ، وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّى أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ (١) والخلافة فى هذه الأرض لا تعنى إلاعمارة الأرض ، بالبناء ، والتشييد ، والإبداع ، والتكوين ، وفقا لشرع الله تعالى .

ولا شك أن الخلافة أيضا ، لا تتحقق ، ولا تزدهر ، إلا بالإنسال ، ولا إنسال إلا إذا كان زوجان ، يسكن أحدهما إلى الآخر ، ﴿ وَمِنْ آيَاته أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِن أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ، وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٢) .

ولا سكون للزوجين إلا إذا ارتبطا بعقد شرعى ، مؤبد بشاهدين وصيغة وقبول ، بهذه الشروط وحدها ، يقر الإســـلام العلاقة الاجتماعية بين الرجل والمرأة ويســميها زواجا شرعيا . نعم هذا هو الزواج الصحيح فى مفهوم الإسلام والذى بمقتضاه يتم بمشيئة الله تعالى - التناســل . وعمارة الكون ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِن نَفْسٍ وَاحِدةٍ وَخَلَقَ مِنهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً ﴾ (٣) .

وتشريع الزواج فى الإسلام ، كان اعترافا من هذا الدين بالمشكلة الجنسية، فالإسلام لما كان دين الفطرة السوية - لم ينكر غرائز الإنسان ومنها الغريزة الجنسية - ولم يستقذرها ، وإنما نظمها ، ووضع لها الشروط والقواعد الحضارية التى تلائم كرامة الإنسان ، المستمدة من تكريم خالقه عز وجل إياه .

نعم كان موقف الإسلام من القضية الجنسية موقفا وسطا لأنه دين

---

( ١ ) سورة البقرة آية : ٣٠ . ( ٢ ) سورة الروم آية ٢١ .
( ٣ ) سورة النساء آية : ١ .

الوسطية فلم ينكر الدوافع الغريزية ، ولم يطلقها من عقالها لتلحق بالحيوانية ، وإنما كبح جماحها ، وهذب من عنفوانها ، بالحلول التى تناسب مبدأ الإسلام وجوهره وروحه ، فلا إفراط ، ولا تفريط ، بل وسطية ، واعتـــدال ، وقوامية .

والخروج عن هذه الوسطية ، بالجنوح إلى الإفراط ، أو التفريط ، مرفوض إسلاميا فلا رهبانية فى الإسلام ، ولا إباحية مطلقه بدون قيود ، أو سدود أو موانع ولذلك حرم - فى شرع الإسلام - الزنا واللواط وغيرهما من العلاقات غير الشرعية ، كما حرم جميع الوسائل والمقدمات التى تؤدى إلى هذه الجرائم الخلقية ، فمن هذه المقدمات ، النظر إلى المرأة الأجنبية ، كذلك نظر المرأة إلى الرجل الأجنبى يقول تعالى فى محكم تنزيله : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُم ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ ، وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ، وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ ﴾ (١) .

فغض البصر وسيلة وقائية - كما قلنا - والنظر إلى المرأة الأجنبية ، ولا سيما إذا كان مقصودا به الشهوة ، من المقدمات المساعدة لاقتراف إثم الزنا لأن النظر كما يقول الإمام فخر الدين الرازى رحمـــه الله « بريد الزنا ، ورائد الفجور ، والبلوى فيه أشد وأكثر ، ولا يكاد يقدر على الاحتراس منه » (٢) .

وقد نهى القرآن الكريم عن مجرد الاقتراب من الزنا تفظيعا ، وتخويفا للنفوس من ارتكاب هذه الجريمة . فقال سبحانه جلت حكمته : ﴿ وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً ﴾ (٣) وقال تعالى : ﴿ وَلاَ تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ (٤) « قال القفال : إذا قيل للإنسان لا تقرب هذا ، فهذا أكبر من أن يقول له لا تفعله » .

---

( ١ ) سورة النور الآيتان : ٣٠ ، ٣١ .
( ٢ ) مفاتيح الغيب جـ ١١ .
( ٣ ) سورة الأسراء آية : ٣٢ .
( ٤ ) سورة الأنعام آية ١٥١

وقد جعلنا تحريم الزنا من الصحة الوقائية ، مثل تحريم الميتة ، والخنزير والدم ، والخمر لأن اقتراف الزنا أو اللواط لهما من المضار الصحية والاجتماعية التى تفت فى عضد المجتمعات ، وتحول بين تحقيق خلافة الإنسان على الوجه الذى يرتضيه خالق الإنسان والكون والحياة ·

فمن هذه المضار الصحية ·

١ - **السيلان** : وسببه الميكروبات ذات البنية اللون التى يصاب بها الإنسان ، نتيجة العلاقات الجنسية ، غير الشرعية ، واتصاله بالنساء المريضات والعكس · وقد تكون المرأة حاملة للميكروب سنين طويلة ، فى أعضائها التناسلية فيكون مصدر العدوى الدائمة الخطيرة ·

**٢ - السفلس** : وهو من الأمـــــراض الزهرية الخطرة يسببه ميكروب « اللولبية الشاحبة » ويصاب به الإنسان ، أثناء العلاقات الجنسية السرية مع الفاحشات ، أو عند اللواط · وهو نوعان : مكتسب ووراثى ·

(أ) السفلس المكتسب : تحدث الإصابة به عند الاتصالات المشبوهة · حيث تدخل جرثومته الجسم ، وتمكث فيه مدة ثلاثة أسابيع دون أن يصحبه أعراض· وتسمى هذه بـ ( فترة الحضانة ) ، ثم تبدأ الأعراض بالظهور ، وفى ثلاث مراحل :

(١) السفلس الأولى وتظهر أعراضـه بعد ثلاثة أسابيع من التقارب الجنسى ، ومن علائمه تقرح فى الأعضاء التناسلية للمرأة والرجل معًا ، كالقضيب والشفرين · والمهبل ، وعنق الرحم ، وفتحة الشرج · والفم خصوصا عند المصابين بالشذوذ الجنسى · ويحدث تورم فى العقد الليمفاوية المغبنية ، ويمكن كشف ميكروب السفلس تحت المجهر · بعد أخذ عينة ، أو مسحة من مكان الاصابة ، أو من العقد الليمفاوية ·

(٢) السفلس الثانوى : تبدأ أعراضه بعد ستة أسابيع من اختفاء وأعراض

السفلس الأولى ، وتنتشر إصابته فى الجسم ، ومن أبرز علائمه ظهور طفح جلدى متنوع فى جميع أنحاء الجسم ، بما فيها الأنسجة المخاطية فى الفم والمهبل · كما يصحبه سقوط شعر الرأس ، أو الشـــعر فى أجزاء الجسم الأخرى ، وظهور الطلاء الأبيض على اللسان مع حدوث تورم فى العقد الليمفاوية · فى عموم الجسم ·

(٣) السفلس الثالوثى ، ويطلق عليه اسم الدور المخرب » حيث يصيب الجلد وسائر أعضاء الجسم ، وتقوم الدرنات الســـفلسية ، بدور واسع ومخرب ، داخل أنسجة الجسم · ويتعرض الجهاز العصبى للتخريب وخصوصاً الأعصاب الحسية التى تفقد الشخص القدرة على تحسس الألم والحرارة والبرودة ، فتسبب له مضاعفات عديدة ، ومؤذية ·

وفى هذا الدور يصاب الكبد والقلب ، والأبهر والكليتين ، والمعدة ، والخصية والسحايا والدماغ » ·

(ب) السفلس الوراثى : يحدث نتيجة إصابة الأم بالسفلس العام ، وبه يصاب الجنين عن طريق المشيمة ، لأن ميكروب السفلس يتمكن من اختراق غشاء المشيمة ، فيؤدى إلى موت الجنين داخل الرحم ،وحصول ( الاجهاض ) وقد يولد الطفل ، وجلده متجعد على العموم · ولونه عميق ( قهوانى ) مع ظهور طفح كيسى على الجلد · ويمكن العثور على ميكروب السفلس بفحص محتوياته » [١] .

وقد يزعم البعض أن العلم باكتشافاته ، ووسائله المختلفة كفيل بالقضاء على هذه « السلبيات » ، الناشئة من العلاقة الجنســـية التى تتم بين رجل وامرأة ، أو بين رجل ورجل أو بين امرأة وأخرى ·

---

( ١ ) بتصرف من كتاب القرآن والطب الحديث د . صادق عبد الرضا على منشورات دار المؤرخ العربى – بيروت .

ففى كثير من الدول التى تبيح البغاء ، يتم الكشف الطبى بصفة دورية على الجنسين ، فضلا عن وجود العوازل الطبية للرجال !!

وما تتحدثون عنه من أمراض تسببها العلاقة الجنسية غير المشروعة - كما تقولون - ربما كان حدوثها ممكنا فى الأزمنة الغابرة أما اليوم فإن العلم قد وضع لكل مشكلة حلا · ولكل سؤال إجابة عملية ·

ونقول لهؤلاء المفتونين بإنجازات العلم الحديث ، وانتصاراته الباهرة فى مختلف ميادين الحياة ، نقول لهم - كما قلنا أكثر من مرة على صفحات هذا الكتاب - نحن لا ننكر ولم ننكر فضل هذا العلم على البشرية ، وعليكم أيضا أن تقروا وتعترفوا أن هذا العلم الذى تمجدونه وتعظمونه - مازال عاجزا عن حل بعض المشكلات الصحية لإنسان القرن الحادى والعشرين · فهذا العلم مازال عاجزا ، لم يحرك ساكنا من فيروس مدمر شديد الفتك بالإنسان ، فيروس يصيب المناعة الطبيعية للإنسان فى مقتل ·

نعم الملايين من البشر فى جميع الدول ، ومنها دول زعمت أنها ملكت الأرض والفضاء ، والقمر · والبحار ، وما تحت البحار · هؤلاء الملايين من الناس مصابون بمرض اطلقوا عليه : الايدز، أو نقص المناعة وفشلها ، هؤلاء المرضى بالإيدز ينتظرون الموت بين عشية أوضحاها · ومعلوم أن مرض الايدز هذا سببه الاتصال الجنسى غير المشروع ،وهو ما أطلق عليه الإسلام : الزنا أو اللواط · وحرمهما منذ أربعة عشـــر قرنا · وكان هذا التحريم إعجازا طبيا قرآنيا ، لأن مرضا مثل فشل المناعة ، لم يكن معروفا عندما أنزل تبارك وتعالى على نبيه محمد ﷺ قوله تعالى : ﴿ وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً ﴾ صدق الله العظيم ·

* *

## (هـ) أذى المحيض

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى ، فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ ، فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِن حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (١) .

« ويعرف المحيض طبيا بأنه : عبارة عن نزف وطرد فيزيولوجى للغشاء الداخلى للرحم ، ويحدث شهريا بشكل منتظم فى أغلب الأحيان ، منذ البلوغ إلى سن اليأس » (٢) .

وحرصا من الإسلام على صحة الزوجين ، وانطلاقا من مقصوده الاجتماعى لمفهوم الزواج كعلاقة مشروعة ، بين الرجل والمرأة · لتحقيق الخلافة فى الأرض ، هذه الخلافة التى كان خلق الإنسان الأول من أجلها ·

وحرصا من الإسلام أيضا ، وضمانا منه لامتداد الجنس البشرى على هذه الأرض ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، ولن يكون امتداد واستمرار بشرى ، وتناسل نوعى معافى من جميع الأمراض والعلل ، إلا إذا تمتع الزوجان بصحة عضوية ونفسية متكاملة ، واقتراب الزوج من زوجته أثناء الدورة الشهرية يعرض هذا الزوج لمخاطر صحية ·

نقول حرصاً من الإسلام على هذه الاعتبارات الصحية والطبية حرم الإسلام المعاشرة الزوجية فى المحيض · فالمحيض بنص القرآن أذى ، وجاء التحريم بإحدى صيغ التأكيد المعروفة لدارسى النحو العربى ، فالأذى فى النص القـرآنى جاء خبرا للمحيض ، قصدا للمبالغة ، كما نقول : رجل عدل ، إذا أردنا المبالغة والتأكيد فى عدالة هذا الرجل ·

وقد فسر الإمام فخر الدين الرازى ، الأذى بالقذارة و« أن الأذى فى

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٢٢ ·  (٢) القرآن والطب الحديث .

اللغة ما يكره من كل شيء » [1] ، وقال رضى الله تعالى عنه « دم الحيض دم فاسد يتولد من فضلة تدفعها طبيعة المرأة من طريق الرحم ، ولو احتبست تلك الفضلة لمرضت المرأة ، فذلك الدم جار مجرى البول ، والغائط فكان أذى وقذرًا » [2] وإذا كان دم الحيض أذى وقـذارة ، فزوال الحيض طهارة قال تعالى : ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِن حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ ، إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ المُتَطَهِّرِينَ ﴾ والطهارة نظافة،ووضاءة ونقاء . والإسلام كما هو معروف دين يدعو إلى النظافة و﴿ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ المُتَطَهِّرِينَ ﴾ .

ولأن الإسلام دين نظافة وطهارة « فإن أكثر فقهاء الأمصار على أن المرأة إذا انقطع حيضها لا يحل للزوج مجامعتها ، إلا بعد أن تغتسل من الحيض ، وهذا قول مالك والأوزاعى ، والشافعى والثورى » [3] .

هل هناك دعوة للصحة ، وللصحة الوقائية أدق وأوفى وأشد حرصا على صحة الإنسان ، وسلامته من الطب الوقائى فى القرآن الحكيم الذى نزل به الروح الأمين على قلب سيد البشر محمد ﷺ .

ولقد كان الإسلام بالمرأة كريما ، محترما لمشاعرها كأنثى فمنع الاقتراب منها أثناء هذه الحالة البيلوجية المؤقتة ، التى لا تفارق المرأة حتى سن متأخرة .

ولا نقف على حرص الإسلام على كرامة المرأة ، ومراعاة إنسانيتها ، أثناء المحيض إلا إذا علمنا كيف كانت تعامل المرأة قبل الإسلام إذا حاضت .

يقول الإمام الرازى رحمه الله تعالى « اليهود والمجوس كانوا يبالغون فى التباعد عن المرأة حال حيضها . والنصارى كانوا يجامعونهن ، ولا يبالون بالحيض ، وأن أهل الجاهلية كانوا إذا حاضت المرأة لم يؤاكلوها ، ولم يشاربوها ، ولم يجالسوها على فرش ، ولم يساكنوها فى بيت كفعل اليهود والمجوس » [4] .

---

( ١ ) مفاتيح الغيب جـ ٣ .
( ٢ ) مفاتيح الغيب جـ ٣ .
( ٣ ) المصدر السابق .
( ٤ ) المصدر السابق .

وقد استمر هذا الوضع الجاهلى اللإنسانى ، الذى فيه من الإهانة والتحقير والازدراء للمرأة كثير ، إلى أن أشرق فجر الإسلام ، فأشرقت الأرض بنور ربها · فكان موقف الدين الجديد من هذا الذى يعترى النساء موقفا مطابقا لإنسانية الإسلام ، كان موقفه هو اعتزال النســاء فى المحيض فقط ، ونهى عن عدم مؤاكلتهن ومشاربتهن ، ومجالستهن ، ومساكنتهن ، كما فعلت الجاهليه الأولى لأن هذا الوضع الطارئ الذى تمر به المرأة شهريا ، أمر حياتى وطبيعى لا ذنب لها فيه ، وكما قال المبعوث رحمة للعالمين عليه الصلاة والسلام فى هذا الشأن « إن هذا أمر كتبه الله على بنات آدم »[1] فما دام الحيض أمرا كتبه الله تعالى على بنات آدم فليعاملن معاملة تتفق مع كرامة الإنسان واحترامه ، ومراعاة حقوقه التى أكدها الإسلام ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِى آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِى البَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ، وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾[2] .

ورغم أن آية اعتزال النساء فى المحيض ، واضحة وجلية ، فالآية قررت الاعتزال فقط ، إلا أن بعض الأعراب ، ربما لم يستوعب مبدأ اعتزال النساء فقط أثناء المحيض ، لأن هؤلاء الأعراب ، كانت عادات الجاهلية ما زالت مسيطرة على وجدانهم وتفكيرهم · فقد جاء نفر منهــم إلى النبــى ﷺ قائلين : « يا رسول الله · البرد شديد ، والثياب قليلة ، فإن آثرناهن بالثياب هلك سائر أهل البيت ، وإن استأثرناها هلكت الحُيَّض · فقال ﷺ : « إنما أمرتكم أن تعتزلوا مجامعتهن إذا حضن ، ولم آمركم بإخراجهن من البيوت ، كفعل الأعاجم » ، فلما سمعت اليهود ذلك · قالوا هذا الرجل يريد ألا يدع شيئًا من أمرنا إلا خالفنا فيه »[3] .

والبون والمسافة شاسعة ، وعميقة بين موقف الإسلام الحضارى المبنى

---

( ١ ) فتح البارى جـ ١ ·  ( ٢ ) سورة الإسراء آية : ٧٠ ·

( ٣ ) المصدر السابق ·

على تكريم المرأة واحترامها · وبين موقف الجاهلية الموغلة فى احتـــقار وامتهان المرأة فى « أمر كتبه الله على بنات آدم » فقد اكتفى الإسلام بعدم المعاشرة أثناء الدورة الشهرية وتحريم هذه المعاشرة كان للحفاظ على صحة الزوجين من المضار الطبية، إذا تمت هذه المعاشرة أثناء الحيض · وفى هذا التحريم والمنع يكمن الإعجاز الطبى للقرآن الكريم · نقول فى منع الاقتراب من النساء أثناء هذه الحالة الطارئة إعجاز طبى لأن الإنسانية لم تكن تدرك فى ذلك العصر ، المضار الطبية والصحية التى سوف تنشأ من المعاشرة فى المحيض · فلم تكتشف هذه المضار ولم يمط اللثام عنها إلا بعد قرون ، وقرون من نزول القرآن الكريم ·

فقد جاء الطب بعد المئات من السنين ليكشف لنا النقاب عن أمراض وآفات يسببها الاتصال بالمرأة الحائض · فمنها هذه الأمراض :

(١) « التهاب الأعضاء التناسلية للمرأة كالمهبل ، والرحم ، وما يصحب ذلك من ارتفاع فى درجات الحرارة ، وترشحات مرضية ذات رائحة كريهة فى بعض الأحيان ·

(٢) تحرش المهبل والإصابة بالرضوض والسحجات ·

(٣) وصول الإلتهاب فى بعض الحالات إلى ملحقات الرحم كقناة التى البيضة تؤدى إلى العقم الدائم -

(٤) آلام فى منطقة الثديين ، وعدم حصول الإنسجام عند المداعبة ·

(٥)ردود فعل عصبية تؤدى إلى انقطاع شديد للمحيض مع آلام شديدة·

(٦) اضطراب حالة المرأة النفسية يؤدى إلى تصرفات غير طبيعية فى البيت والمجتمع ·

(٧) زيادة كمية النزف الدموى المرافق للحيض يصحبه ضعف عام لدى المرأة ·

(٨) التهاب الأعضاء التناسلية فى الرجل يشمل لشدته المثانة والمجارى البولية والبروستاتا » [١] .

* * *

﴿ إِنَّ هَذَا القُرْآنَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [٢] يقول شهيد الإسلام الأستاذ سيد قطب فى معرض تفسيره لهذه الآية الكريمة « هكذا على وجه الإطلاق فيمن يهديهم ، وفيما يهديهم فيشمل الهدى أقواما ، وأجيالا بلا حدود ، من زمان أو مكان ، ويشمل ما يهديهم إليه كل منهج وكل طريق وكل خير يهتدى إليه البشر فى كل زمان ومكان » [٣] .

* * *

---

( ١ ) القرآن والطب الحديث .  ( ٢ ) سورة الإسراء آية : ٩ .

( ٣ ) فى ظلال القرآن جـ ٤ .

# المبحث الثالث

# وسائل إيجابية فى الوقاية من الأمراض

( أ ) الصيام:

قلنا - ربما فى أكثر من موضع فى هذا الكتاب - إن الغاية الكبرى من خلق الإنسان هى عبادة الله عز وجـــل: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ كما قلنا أيضا إن العبادة تشمل حق الخالق سبحانه نحو مخلوقه ، وحق المخلوق نحو المخلوق . والحكمة من العبادة هى تأكيد خلافة الإنسان فى الأرض . وارتباط المخلوق بخالقه عز وجل .

وكلما اجتهد هذا المخلوق فى عبادة ربه تعالى وتضرع إليه ، وتذلل طائعا بالمأمور به من قبل الله تعالى ، منتهيا إلى ما نهاه عنه ، كان من عباده الصالحين الذين يرثون الأرض ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ الصَّالِحُونَ ﴾ (١) .

كما أن لعبادة الله تعالى عز وجل نتائج إيجابية أخرى ، مثل الاستخلاف فى الأرض وتمكن دين الله سبحانه الذى أرتضاه لعباده الصالحين مع حياة يظللها الأمن والطمأنينة ، والسكينة ، يقول أصدق القائلين ﴿ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ، وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِى ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِى لاَ يُشْرِكُونَ بِى شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ ﴾(٢) والفاسقون هم الذين خلعوا وسام عبودية خالق السموات والأرض جل وعلا ، وتكبلوا بأغلال عبودية سوى الله مالك الملك ، خالق الموت والحياة ، فخسروا دنياهم وآخرتهم .

---

( ١ ) سورة الأنبياء آية : ١٠٥ .  ( ٢ ) سورة النور آية ٥٥ .

إذن المقصود من العبادة هو تأكيد الصلة والارتبـــاط الوثيق بين العبد وربه ، ولقد اشتمل بعض العبادات - لذلك - على ما يسعف ويعين الإنسان على القيام بتكاليف ، وتبعات العبادة ، فمن هذه العبادات الصيام ، سواء كان فرضا ، أو تطوعا ، فصيام شهر رمضان فريضة إسلامية بنص القرآن الكريم ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١) .

فالآية الكريمة بينت القصد الشرعى الحكيم ، وهو التقوى السبب والحكمة من فريضة الصيام ، كما أن للصيام الحكمة الأخرى - كما بينا - التى تعين الإنسان على أداء واجباته وفرائضه نحو ربه ، ونحو نفسه ومجتمعه هذه الحكمة الأخرى هى أن تكون الصحة العضوية والنفسية سليمة لأفراد المجتمع المسلم . فالعجز بجميع صوره وأشكاله ، وأنواعه سلبية ، ولذلك مما استعاذ منه النبى ﷺ .

والحكمة الطبية للصيام تكفلت السنة النبوية ببيانها . فقد قال عليه الصلاة والسلام « صوموا تصحوا » (٢) وخطابه هذا عليه الصلاة والسلام موجه إلي أمته الرءوف الرحيم بهم ، وصحة الأمة الإسلامية ، البدنية منها والنفسية تهم المبعوث رحمة للعالمين لأن « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف » كما قال عليه الصلاة والسلام .

« صوموا اتصحوا » ، نصيحة نبوية خالدة ، ومعجزة طبية ، وقاعدة من قواعد الوقاية الصحية الإيجابية ، يجب الإيمان بها . والعمل بمقتضاها . مثلما آمن بها المسلمون الأوائل : فصحت أبدانهم . وقويت أجسامهم فسادوا الدنيا، ناشرين فيها حضارة الإسلام ، وقيمه وأخـــلاقه التى تعلى شأن الإنسان وتكرمه ، حاكما كان هذا الإنسان أو محكوما ، مسلما كان أو غير مسلم .

---

( ١ ) سورة البقرة آية : ١٨٣ .  ( ٢ ) البخارى ومسلم .

والآن وطبقا للمنهج الذى اتبعناه فى هذا الكتاب علينا أن نستعرض آراء وأقوال الأطباء المعاصرين فيما يتعلق بالصيام ونتائجه الإيجابية على صحة الإنسان ·

ففى البحوث الطبية الحديثة تأكيد لما جاء فى السنة النبوية وهو أن الصوم سبب إيجابى لبناء الصحة الجيدة ، فأهم عضو فى جسم الإنسان الذى هو القلب ، ولقد كان هذا العضو مهما لأنه المقياس الوحيد لحياة المرء أو موته · تلك الجوهرة الربانية التى نعنى بها « القلب » · فقلب الإنسان يتأثر إيجاباً بالصوم كما يتأثر سلبا بالإسراف فى الطعام ولا سيماً إذا احتوى هذا الطعام على نسبة عالية من الدهنيات ·

فماذا قال الأطباء فى العصر الحديث عن فوائد الصوم والخاصة بقلب الإنسان ؟

( أ ) الصوم يحذف المنبهات الدائمة للقلب ·

(ب) يسمح للقلب بالراحة ·

(جـ) ينقى الدم ، وبذلك يتاح للقلب أن يتغذى بدم نقى ونظيف « إن القلب يضرب ٨٠ ضربة فى الدقيقة الواحدة ، أى ما يعادل ١١٥٢٠٠ مرة فى الـ ٢٤ ساعة ، ولقد لوحظ فى الأيام الأولى من الصوم تناقص فى عدد ضربات القلب ، بحيث يصل إلى أقل من ٦٠ ضربة فى الدقيقة · وبعد ذلك يعود نبض القلب ليثبت على ٦٠ ضربة فى الدقيقة طيلة فترة الصوم » [١] .

« وإن هذا النقص فى عدد دقات القلب يوفر ٢٨٨٠٠ دقة فى الـ ٢٤ ساعة وهذا معناه أن القلب يرتاح من ربع العمل الذى كان يقوم به · هذا من الناحية الكمية ، أما من الناحية الكيفية ، فالصوم يحسن قوة دقات القلب

---

( ١ ) التداوى بالصوم تأليف هـ · م شيلتون ،إعداد دار الرشيد · دمشق – بيروت ·

وشدتها » [1] . « وإذا أردنا أن نعبر عن ذلك بشكل آخر ، فإننا نستطيع أن نقول إن الصيام هو طور راحة ، وعطلة صيفية للقلب ، يستفيد منها كثيراً ، ويستعيد أثناءها وبعدها نشاطه على الوجه الأكمل » [2] .

وكما قلنا أكثر من مرة ، إن المعجزة الطبية فى القرآن الكريم أو السنة النبوية فى غنى عن تأييد أو إقرار من العلم الحديث لتلك المعجزة بل إن ما يثبته العلم الحديث ، أو بعض ما يثبته هذا العلم من قضايا طبية ربما فى حاجة إلى سند ، أو دليل من الكتاب أو الحديث النبوى الصحيح واستشهادنا بالعلم أو بمنجزات الطب المعاصر ، فيما أشار إليه الكتاب أو السنة من علاج أو حل لبعض المشكلات الصحية ، أو العلاجية أو الداوئية إنما لبيان الإعجاز الطبى ، وتوضيحه فى الكتاب والسنة ، وحديث رسول الله ﷺ « صوموا تصحوا » والذى أسلفناه قاعدة طبية وقائية ، فما زال علم الإنسان يقدم كل ما يؤكد ما فى هذا الحديث من فوائد فى عالم الصحة البدنية ، فالصوم - كما هو معلوم - امتناع عن الطعام والشراب نهاراً . والطعام للإنسان إكسير الحياة .

فهو الذى يمده بالطاقة والحيوية - ولا يتوهمنَّ متوهم ، أو يظن ظان أن الإنسان إذا امتنع عن الطعام والشراب أياما أو شهرًا تسبب فى هلاك نفسه صحياً ، أو على الأقل أصابه ضعف أو خور فى بنيانه ، ومن ثم لا يطيق الصائم أن يؤدى ما كلف به من مسئوليات فى حياته اليومية .

فلقد أبطل العلم الحديث هذه الادعاءات ، وتلك المزاعم التى لا سند طبيا لها . بل إن هذا العلم أثبت عكس هذه الافتراءات ، فأكد بالتجارب العلمية ، أن الصيام عامل مهم فى زيادة كرات الدم الحمراء ، وعلاج لأمراض فقر الدم .

« لقد أثبت الصوم فائدته الكبرى . وأثره البالغ فى علاج حالات فقر

---

(١ ، ٢) المصدر السابق .

الدم المختلفة ، فقد لاحظ أحد الباحثين من خلال التجارب والعلاجات التى أجراها بالصوم أن عدد الكريات الحمراء ، قد زاد فى اليوم الثانى عشر من الصوم من ٠٠٠ ر ٥٠٠ ر إلى ٠٠٠ ر ٠٠ ر ٣ كذلك لو حظـت زياده كمية « الهيموجلوبين وتحسين نوعه » [١] .

أما من يزعم أن الصوم مؤد إلى الهلاك أو الموت فإليهم شهادة الطبيب الأمريكى شيلتون فى كتابه « التداوى بالصيام » ، الذى يقول فيه « يستعمل تعبير الموت جوعاً ، فى حـالات موت شخص ما بسبب الحرمان ، أو فقد الغذاء ، وهو لذلك يختلف كليـا عن كلمة الصوم ، التى تعنى التوقف الإرادى » أو الامتناع الطوعى لعدة أيام ، عن تناول الأطعمة ، وذلك بغية الوصول إلى شفاء من مرض أو حالة مرضية حادة » [٢]ولا يلام الطبيب الأمريكى إذا اعتقد أن الهدف من الصيام منحصر فى الشفاء من الأمراض ، أقول لا نلوم الطبيب الأمريكى ، لأنه لم يدرس حكمة التشريع فى الإسلام ليعلم أن الصوم الإسلامى - قبل أن يكون علاجا من مرض أو وقاية صحية - هو عبادة وطاعة وتقوى وقربة إلى الله عز وجل ثم يقول د · شيلتون مؤكدا أن الإنسان قادر على الصوم لأكثر من شهر « إن الإنسان يمكنه البقاء دون طعام مدة ٧٩ يوماً على وجه التقريب » وهناك أمراض أخرى كثيرة · الصوم هو الدواء الناجع لها · فمن هذه مرض الروماتيزم « خصوصا الروماتيزم المفصلى العظمى · حيث تلعب زيادة الوزن دوراً رئيساً فى حدوثه ، وما يحدث فى شهر رمضان من نقص الوزن يكفى لإحداث تحسن فى حالة المفصل ، حيث لا احتكاك من الغضاريف فيقل التهابها » [٣] .

« ومريض الصدر » ، وأكثرها شيوعا ربو الصدر لوالتزم بروح شهر

---

( ١ ) المصدر السابق ·  ( ٢ ) المصدر السابق ·

( ٣ ) د · مدحت صابر شافعى ( كتاب اليوم الطبى ) ، اخبار اليوم ·

رمضان وتجنب الإفراط فى طعامه ، وامتلاء معدته لحال دون ارتفاع الحجاب الحاجز مما يحدث ضيقا فى الحيز الصدرى » [1] .

وهناك أمراض أخري يعالجها الصيام مثل ضغط الدم المرتفع · وبعض الأمراض الجلدية وغيرها ·

صلى الله تعالى عليك يا خاتم الأنبياء والمرسلين - منذا أربعة عشر قرنا علمت البشرية جمعاء الوسائل الصحيحة لصلاح دينهم ، ودنياهم ، ولقد صدق من سماك « بالمؤمنين رءوف رحيم » ·

* *

## (ب) الحجر الصحى فى الإسلام :

يقوم مفهوم الحجر الصحى وماهيته ، على منع انتقال الداء من المريض إلى السليم ، أو بمعنى آخر ، حصر المرض المراد عدم انتقاله فى منطقة معينة حتى يسهل القضاء عليه ، قبل انتشاره إلى المناطق المجاورة للبيئة الموبوءة ·

ونبى الإسلام سيدنا محمد ﷺ الرءوف الرحيم بالمؤمنين كما وصف بذلك فى القرآن الكريم ، لم ينكر انتقال المرض عن طريق العدوى ، إلي الإنسان السليم ، بل نصح عليه السلام أمته ، بأن تتجنب المناطق التي تتفشى فيها الأمراض المعدية ، ولم يكتف ﷺ بذلك ، بل فرض على مثل هذه المناطق · حظر انتقال أفرادها ، إلى جهات أخرى منعا من انتشاور وتفشى الوباء · وهذا ما يشير إليه الحديث النبوى ، الذى رواه الإمام البخارى رضي الله عنه وهو « إذا سمعتم بالطاعون فى أرض ، فلا تدخلوها ، وإذا وقع بأرض ، وأنتم بها فلا تخرجوا منها » [2] .

وحديث آخر رواه البخارى أيضاً تلو الحديث السابق ونصه « إن عمر بن

---

( ١ ) المصد السابق ·

( ٢ ) فتح الباري جـ ١ ·

الخطاب رضي الله عنه خرج إلى الشام حتى إذا كان بسرْغ [1] لقيه أمراء الأجناد ، أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه ، فأخبروه أن الوباء وقع بأرض الشام ، قال : قال ابن عباس : فقال عمر ادع لى المهاجرين الأولين فدعاهم فاستشارهم وأخبرهم أن الوباء قد وقع فى الشام ، فاختلفوا · فقال بعضهم : قد خرجنا لأمر ، ولا نرى أن ترجع عنه ، وقال بعضهم معك بقية الناس وأصحاب رسول الله ﷺ ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء فقال : ارتفعوا عنى ثم قال : ادع لى من كان ها هنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح ، فدعوتهم ، فلم يختلف منهم عليه رجلان · فقالوا نرى أن ترجع بالناس ، ولا تقدمهم على هذا الوباء ، فنادى عمر فى الناس ، إنى مصبح على ظهر فأصبحوا عليه ، فقال أبو عبيدة بن الجراح : أفرارا من قدر الله فقال عمر : لو غيرك قالها يا أبا عبيدة - نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله · أرأيت إن كانت لك إبل هبطت واديا له عدوتان · إحداهما خصيبة · والأخرى جدبة أليس إن رعيت الخصيبة رعيتها بقدر الله · وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله . قال فجاء عبد الرحمن بن عوف · وكان متغيبا فى بعض حاجته فقال : إن عندى فى هذا علماً · سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه · وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه » قال: فحمد الله عمر ثم انصرف » [2] .

والحديثان معناهما واحد ، وإن اختلفا فى اللفظ ، ولكننا آثرنا إيراد الحديث الأخير رغم طوله لندلل على أن المسلمين الأوائل لم يكونوا يخطون خطوة ، إلا بعد أن يحكموا دينهم وشريعتهم ، وتكون حركتهم سلبا أو إيجابا ، علي ضوء ما يقره الإسلام أو يرفضه ·

---

( ١ ) مدينة افتتحها أبو عبيدة .

( ٢ ) فتح البارى .

فالدخول إلى الأرض الموبوءة ، والخروج منها ممنوعان إسلاميا ، وحكمة المنع فى الحالتين مفهومة ، وهي منع انتقال الوباء من المريض إلى السليم ، ومن جهة إلى أخرى .

ومن الأحاديث التي تنص على الاعتراف بالعدوى كناقل للعدوى . حديث رواه الإمام البخـــارى أيضاً وهو « فر مـــــن المجذوم كما تفر من الأسد » (١) وقوله عليه الصلاة والسلام : « لا يورد ممرض على مصح » (٢) .

وهناك أحاديث أخري صحيحة أيضاً ، لا تقيم للعدوى وزنا ، فلا تجعله عاملاً مسببا ، لنقل الداء ، كقوله عليه الصلاة والسلام « لا عدوى ، ولا صفر ، ولا هامة » فقال أعرابى : يا رسول الله ، فما بال إبلى تكون فى الرمل ، كأنها الظباء ، فيتأتى البعير الأجـرب ، فيدخل بينهـــا فيجربها ؟ فقال : فمن أعدى الأول » (٣) وحديث « أن النبى ﷺ « أكل مع مجذوم وقال : « ثقة بالله ، وتوكلا عليه » (٤) .

والتوفيق بين الأحاديث التى أقرت بوجود العدوى . والأحاديث التى عطلت فاعليتها ليس عسيرا ، فمن المسلم به أن لا حركة ، ولا سكون للكون ، والإنسان والحياة بدون مشيئة الله تعالى ، وإرادته ، وقضائه ، وحكمه الذى لاراد له . فليست الأسباب إلا عوامل مساعدة ، وثانوية لهذه الحركة . وقد كان المشركون من قبل الإسلام ، يعتقدون أن الجسم المريض يؤثر حتما فى الجسم السليم ، عند وجود الفرصة ، وذلك دون حساب ، أو تقدير لإ رادة الله تعالى ، فالأحاديث التى نفت العدوى ، كانت موجهة إلى هؤلاء الذين كانوا حديثى عهد بالإسلام وكأن النبى ﷺ الذى بعث بدين يدعو إلى وحدانية الله تعالى ربا وإلها ، يريد أن يؤكد لهؤلاء الذين عاصروه ،

---

( ١ ، ٢ ) فتح البارى .

( ٣ ، ٤ ) المصدر السابق ، صفر : حية تكون فى البطن تصيب الماشية .

ولكل عصر يأتى بعدهم إلى قيام الساعة قائلا لهم : إن كل مسبب ،وإن كان مرتبطاً بسببه ، إلا أن المسبب والأثر والنتيجة ربما تتخلف ، ولا تتحقق لارتفاع المشيئة الآلهية التى تربط السبب بالمسبب ·

وقد بين النبى ﷺ لأمته - تلك القاعدة الإسلامية وطبقها عمليا · بأن أكل مع المجذوم قائلا : « ثقة بالله وتوكلاً عليه » وقال للأعرابى الذى زعم أن للعدوى تأثيراً مستقلاً : « فمن أعدى الأول » ·

فلاحتمية وجودية بين السبب والمسبب إلا أن يشاء الله تعالى ·

والأحاديث التى اعترفت للعدوى دورا مؤثراً ، شهادة بأن الوباء قدر والفرار منه قدر أيضاً · كما قال الفاروق عمر بن الخطاب لأبى عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم حين عاتبه بقوله : أفرارا من قدر الله ؟ نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله · آى إن قدر لنا أن نصاب بهذا الوباء ، فسنصاب به فى أى مكان وإن لم يقدر فلا نصاب فى الشام أو فى غيرها ·

وربما عدل سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن دخول منطقة الوباء حتى لا يعتقد ضعاف الإيمان - إذا أصيب - أنه أصيب بهذا المرض بسبب العدوى وليس بإرادة الله تعالى ، وهذا هو ما حذر منه الرسول صلوات الله وسلامه عليه - حذر الإيمان بانفرادية تأثير السبب فى المسبب · دون مراعاة للمشيئة والارادة الآلهية · ولكى ينفى عليه الصلاة والسلام فاعلية السبب وحدها كانت مؤاكلته مع المجذوم · وقوله للأعرابى : « فمن أعدى الأول » ·

وأخيرا نريد أن نؤكد أن الإسلام يحض على الأخذ بالأسباب والتمسك بها ، ولكن - كما قلنا - أن المشيئة الآلهية وحدها هى القادرة على ربط كل سبب بمسببه · وخير ما قيل فى هذا المجال قول الإمام ابن القيم رحمه الله فمما قاله هذا العالم العلامة « إن تعطيل الأسباب ، وإخراجها عن أن تكون أسباباً تعطيل للشرع ، ومـصالح الدنيا ، والاعتماد عليها ، والركون إليها ،

واعتقاد أن المسببات بها وحدها · وأنها أسباب تامة شرك بالخالق عز وجل وجهل به ، وخروج عن حقيقة التوحيد » [1] .

إن الامام ابن القيم رضي الله عنه يؤكد لنا أن جوهر الدين الحنيف وروحه وظاهره ، وباطنه مبنية ، وقائمة على أن لا نفع ، ولا خير ، ولا صحة ولا سقم ولا فلاح ، ولا خسران فى الدنيا والآخرة إلا بمشيئة الله تعالى ، وإرادته وقضائه ، وقدره · وهذا فى الحقيقة - هو جوهر الإيمان · إيمان السلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم ﴿ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعاً ﴾ [2].

فالطاعون - مثلا - مرض وبائى معد ، ولكن تأثير هذه العدوى معطل إلا بمشيئة الله عز وجل وإرادته · ومعجزة الطب النبوى واضحة وجلية ، فى التحذير من خطورة الأمراض المعدية ، ومنها الطاعون والجذام ·

والطاعون قد عرفه العلم الحديث بأنه « وباء شديد الخطورة ، أصاب الأمم السابقة ، وكان شديد الفتك بهم ، إن الطاعون يسببه ميكروب صغير يدعى Pasteurella ، وتهاجم هذه الميكروبات ، أو البكتريا الحيوانات القارضة كالفئران والجرذان ، وتنتقل بواسطة براغيث الفئران إلى غيرها من الحيوانات أو الإنسان [3] » « يتظاهر الطاعون بشكلين رئيسيين :

الطاعون الدملى : والطاعون الرئوى·

**الطاعون الدملى** : تظهر الاصابة بالطاعون الدملى بين ٢ - ٦ أيام من التعرض للجراثيم · وتكون البداية حادة مع حمى عالية ، وشعور بالإنهاك ، أو الاضطراب والاكتئاب يلى ذلك ظهور الدمل · وهو ورم التهابى مؤلم فى منطقة العقد البلغمية ·

---

( ١ ) مفتاح دار السعادة جـ ٢ ·  ( ٢ ) سورة الفتح : الآية ١١ ·

( ٣ ) الوجيز فى الطب الإسلامى ·

**الطاعون الرئوى** : وهو بمثابة التهاب رئوى شديد مسبب من عدوى الطاعون ، إما من شخص مصاب بالنوع الرئوى ، فيعدى بالرذاذ ، أو من إصابة الشخص نفسه بالنوع الدملى فيحدث له النوع الرئوى كمضاعف على مرضه » [1] .

وماذا عن الجذام ، إن الإسلام - كما أسفلنا القول - نهى عن الاقتراب من المجذوم أيضاً ، اعترافا من الإسلام بعامل العدوى · بعد مشيئة الله تعالى · وقد فصل العلم المعاصر القول فى هذا المرض الوبائى فعرف الجذام قائلا بأنه[2] « مرض حبيبى مزمن معد يصيب البشرة ، ويهاجم بأشكاله المختلفة ، الجلد ، والأغشية المخاطية للمسالك التنفسية العليا « يتسبب المرض عن نوع من أنواع البكتريا وهى بطيئة النمو ، ومقاومة للحموضة ، تنمو فى أنسجة الجسم المختلفة ، وطريقة العدوى ليست معروفة ، بالتأكيد ، وقد تكون عن طريق دخول البكتريا فى الجلد أو الغشاء المخاطى المبطن للجهاز التنفسى العلوى [3] « وهناك أمور لا نعلمها مثل لماذا يصاب هذا الشخص المخالط للمجذوم ولا يصاب ذلك الذى هو أكثر خلطة ، وأكثر التصاقا بالمجذوم [4] » .

وإذا ناقشنا العبارة الأخيرة وهى « هناك أمور لا نعلمها مثل لماذا يصاب هذا الشخص المخالط للمجذوم ، ولا يصاب ذاك الذى هو أكثر خلطة ، وأكثر التصاقا بالمجذوم » لتبين لنا بيانا على وجه التأكيد - عدم فاعلية العدوى كسبب وحيد للإصابة ، دون المشيئة ، والإرادة الآلهية ذات الفعالية الوحيدة فى الإصابة وعدم الإصابة ·

وإيمان الرسول ﷺ بفعالية المشيئة الآلهية وحدها دعاه عليه الصلاة والسلام لمؤاكلة المجذوم قائلا : « ثقة بالله وتوكلا عليه » .

( ١ ) الوجيز فى الطب الإسلامى · ( ٢ ) المصدر السابق ·
( ٣ ) المصدر السابق · ( ٤ ) المصدر السابق ·

نعم إن موقف العقيدة الإسلامية تجاه السبب والمسبب وعلى وجه العموم قائم ومبنى على الإيمان بوحدانية المشيئة الآلهية فى التأثير والفاعلية دون تجاهل أو تعطيل للسبب كما قال الإمام الجليل ابن القيم رحمه الله ·

* *

**(جـ) نظافة البيئة :**

البيئة هى : « كل ما يحيط الإنسان ، من هواء ، وماء ونبات ، وحيوان وحتى الإنسان نفسه » (١) .

ويمكننا أن نعرف البيئة ، تعريفاً آخر ، بأنها كل العوامل الخارجية التى لها دخل فى صحة الإنسان العضوية ، والنفسية ، والاجتماعية ، سواء بالسلب ، أو بالإيجاب فالماء والهواء ، والنبات من العناصر الضرورية ، لحياة الإنسان ، ولكل كائن حى ولا تكون حياة الإنسان ، ولا حياة أى كائن حى سليمة ، من الوجهة الصحية ، إلا إذا كانت العناصر الحياتية المشار إليها ، سليمة من الملوثات ، والشوائب الصناعية الناتجة من مخلفات المصانع ، وعوادم السيارات وغيرها ·

ولقد دعا الإسلام إلى المحافظة على جميع مكونات البيئة ، لأن هذه المكونات خلقها الله تعالى ، وسخرها ، لخدمة الإنسان · لكى يؤدى رسالته فى هذه الحياة كما هى مطلوبة منه - إسلامياً - فى مناخ سليم ونقى من كل ما يعوق تأديته لهذه الرسالة ·

يقول تبارك وتعالى عن بعض نعمه التى سخرها للإنسان ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا ، وَزَيَّنَّاهَا وَمَالَهَا مِن فُرُوجٍ * وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * تَبْصِرَةً

---

(١) القرآن والطب الحديث .

وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴾ (١) وقال جل شأنه : ﴿ وزيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ ﴾ (٢) . وقال تعالى : ﴿ اللهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾ (٣) .

الله تعالى جلت قدرته خلق السماء ، وزينها . وخلق الأرض برواسيها الثابتات، والنبات المبهج للعين والقلب والنفس، المتعدد الأصناف ، والألوان . ولأن الإنسان حياته مرهونة . ومشـــروطه بالماء : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ المَاء كُلَّ شَىْءٍ ﴾ كان سبحانه رحيما بهذا الإنسان ، فأنزل له من ماء به قوام بقائه ، واستمراره على هذه الأرض التى لن تحيا إلا بهذا الماء ، فتهتز وتنبت من النبات أصنافاً فتصبح الأرض مخضرة .

ومن نعم الله تعالى ، خلق الشمس والقمر ، والليل ، والنهار ، والبحار والأنهار مسخرات بأمر الله تعالى عز وجل ، ومكونة بيئة كونية للإنسان ، ﴿ صُنْعَ اللهِ الَّذِى أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ (٤) ومن صنعه جل وعلا ﴿ ... سَـــخَّرَ البَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمـــًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ ، وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٥) .

ولكن الإنسان ، إنسان القرن العشرين ، الذى ادعى الحضارة الإجتماعية والثقافية ، ماذا فعل بهذه البيئة الكونية الجميلة ، التى خلقها الله تعالى من أجله .

---

( ١ ) سورة ق : الآيات ٦ – ٨ .
( ٢ ) سورة فصلت : الآية ١٢ .
( ٣ ) سورة إبراهيم : الآية ٣٢ ، ٣٣ .
( ٤ ) سورة النحل : الآية ٨٨ .
( ٥ ) سورة النحل : الآية ١٤ .

إن هذا الإنسان الذى يزعم أنه نصير ، ومدافع لحقوق الإنسان والحيوان والنبات · دمر هذه البيئة الكونية ، لوثها بما يسمى بالتجارب النووية · وحكم بالموت والتشويه على الإنسان والحيوان والنبات والأحياء المائية بالنفايات التى يلقى بها هنا وهناك · يلقى بها الإنسان « المتحضر » فى أرض ومياه الدول الفقيرة ، لينشر الأوبئة ، والأمراض ، والميكروبات التى تعجز البحوث الطبية والعلمية عن إيجاد العلاج الناجع لهؤلاء الضحايا المساكين ، وقد فعل إنسان القون العشرين كل هذه الكوارث والفواجع فى حق أخيه الإنسان ، لأن هذا الإنسان انحرف ، واعوج عن منهج الله تعالى ، لأنه ترك شريعة الله تعالى وراء ظهره ·

فما هو موقف الإسلام من قضية البيئة ؟ ·

لقد سبق تعريف البيئة بأنها جميع ما يحيط بالإنسان ·

والإسلام يرى بعين الرأفة والحب والمودة والصداقة لجميع مفردات ومكونات البيئة ، بدءا بالإنسان إلى الحيوان والنبات ، وانتهاء بالجماد ، ونستطيع القول مؤكدين وغير مبالغين أن الإسلام ، لم يكتف باحترام حقوق الإنسان والحيوان ، بل احترامه هذا شمل النبات والجماد أيضاً ·

والأحاديث الصحاح ، والأسانيد ، والمواثيق التاريخيـــة خير شاهد عدل ، وأقوى دليل على ما نقول « عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « بينما رجل يمشى بطريق اشتد عليه العطش ، فوجد بئراً ، فنزل فيها فشرب ، ثم خرج ، فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش ، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان قد بلغ بى ، فنزل البئر فملأ خفه ، ثم أمسكه بفيه ، فسقى الكلب ، فشكر الله له فغفر له » · قالوا يا رسول الله ، وإن لنا فى البهائم أجراً · فقال : « فى كل ذات كبد رطبة أجر » [1] .

---

( ١ ) فتح البارى ·

« فى كل ذات كبد رطبة أجر » أى فى كل كائن حى أجر · إذا راعيتموه بعين الرحمة والرأفة ، ولكل كائن حى حق على المسلم ، فعلى الإنسان حق للحيوان يجب مراعاته بتوفير الغذاء المناسب ، وعدم التعرض له بأى لون من ألوان الأذى فلقد دخلت إمرأة النار بسبب إيذائها لقطة · ففى حديث شريف ما معنا « دخلت إمرأة النار فى هرة حبستها ، لاهى أطعمتها ، ولا تركتها تأكل من خشاش الأرض » إلى هذا الحد حقوق الحيوان - فى الإسلام - مصانة ومحترمة ، إن إيذاء قطة سبب دخول إمراة فى النار · وهذا إن دل على شىء ، فإنما يدل - بكل تأكيد - على أن الإسلام يصادق البيئة ، ويعاملها بكل الرأفة ،والمودة ·

والرسول ﷺ كانت حياته كلها نموذجاً ومثالاً صادقاً لحبه لبيئته ، وبكل ما يحيط به من كائنات · فقد كان عليه الصلاة والسلام · « يصغى [1] الإناء للهرة لتشرب · وكان يواسى فى موت طائر يلهو به أخو خادمه » [2] .

نعم لقد كان ﷺ النموذج الأخلاقى العظيم لكل البشر · بلا مبالغة ، ولا عجب فى ذلك · فقد أدبه ربه فأحسن تأديبه ·

ونظرة الإسلام للبيئة لا تقف عند احترامه وحبه وعطفه للكائنات الحية · بل إن هذا الحب يمتد للجماد باعتباره من مكونات البيئة الجغرافية · ففى الحديث النبوى « جبل أحد يحبنا ونحبه » [3] .

« وكانت له - ﷺ قصعة يقال لها الغراء ، وكان له سيف محلى يسمى « الفقار » وكانت له درع موشحة بنحاس تسمى ذات الفضول ، وكان له سرج يسمي الداج ، وبساط يسمى الكر ، وركوة تسمى الصادر ، ومرآة تسمى المدلة ، ومقراض يسمى الجائع وقضيب يسمى الممشوق » [4] .

---

( ١ ) يميل · ( ٢ ) عبقرية محمد للعقاد .
( ٣ ) الموسوعة الإسلامية . ( ٤ ) عبقرية محمد .

إن الرسول صلوات الله وسلامه عليه يحسن تعامله مع الموجودات كلها سواء كانت إنسانا ، أو حيواناً ، أو جبلاً ، أو حاجة من حاجاته الشخصية فى بيته إنه - عليه الصلاة والسلام - لا يعلمنا كيف نصادق البيئة وحسب · إنه يلقى على الإنسانية جميعاً درساً مفيداً فى فن الحب حب الوجود كله ، ولماذا لا نحب الموجودات كلها · وقد خلقها الله تعالى وسخرها لنا · وإذا أحب الإنسان كل ما يحيط به ، فيعامله كما يعامل أحباءه ،وأصدقاءه ، فلن نجد مشكلة للبيئة ، ولن تشقى المنظمات الدولية بإنفاق الملايين من الدولارات دون جدوى ·

وقبل أن يحارب الإسلام التلوث بجميع أشكاله وصوره ، سواء تلوث الهواء أو البحار ، أو الأنهار ، أو الطرقات والشوارع - دعا إلى النظافة والطهارة ، نظافة باطن الإنسان وظاهره ·

( أ ) **نظافة الظاهر** : إن عبادات الإسلام ، مثل الصلاة التى هى ركن من أركان هذا الدين ، اشترط الإسلام لصحتها شروطا منها طهارة البدن والثوب والمكان ، ولنظافة البدن فرض الوضوء قبل أن يتوجه المصلى إلى ربه مناجيا إياه سبحانه ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ ، وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ ، وَامْسَحُوا بِرءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وإن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ﴾ ·

كما أن الصلاة لا تصح إلا إذا كان ثوب المصلى ومكانه طاهرين · والتعبير الإسلامى بالطهارة أعم وأشمل من التعبير بالنظافة لأنه قد يكون الشىء نظيفاً من الناحية الشكلية ، وليس طاهراً بمفهوم الإسلام للطهارة ، لأن للطهارة شروطا وقواعد قد لا تتوافر فى الشىء النظيف ·

فالطهارة مطلوبة فى العبادات أما النظافة بمعناها الشائع ، والمألوف نظافة البيت والشارع ، أو وسائل النقل وغيرها فقد حث عليها الإسلام على وجه التأكيد ·

روى أن رجلاً جاء إلى النبى ﷺ ثائر الرأس واللحية فأشار إلى الرأس - كأنه يأمره بإصلاح شعره ففعل ثم رجع فقال ﷺ « اليس هذا خيراً من أن يأتى أحدكم ثائر الرأس كأنه شيطان » (١) .

وجاء إليه ﷺ رجل وعليه ثوب دون فقال له « الك مال ؟ قال نعم . قال « من أى المال » قال من كل المال قد أعطانى الله تعالى قال « فإذا آتاك الله مالاً فلير أثر نعمة الله عليك وكرامته » (٢) .

أما نظافة الأماكن العامة فإن الإسلام أولى عناية كبرى بها ، وطالب بأن يكون الطريق ، أو الشارع بلغة عصرنا نظيفا ، وخاليا من كل ما يعترض المارة من أشكال الأذى ، مثل الأشواك ، والأحجار وغيرها كثير خاصة فى دول العالم الثالث . قال ﷺ « الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة . أفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان » (٣) .

**(ب) نظافة الباطن** : نعم إن الإسلام مظهر ومخبر ، فكما طالبنا بنظافة كل ما يظهر يطالب الإسلام أيضاً بنظافة كل ما يجيش فى النفوس والضمائر . فلقد جاء بالأخلاق الكريمة . والرسول الكريم يقول : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » وأهم مفردات الخلق الإسلامى هو : الصدق ، والأمانة ، والعفة ، والوفاء والشجاعة ومراعاة حقوق الوالدين ، والجار ، والضيف ، والصديق ، وغيرها من القيم البناءة . ونستطيع أن نقول أن نظافة الباطن سبب مهم لنظافة الظاهر لأن الإنسان مادام نقى النفس والسريرة ، طاهر القلب والوجدان يملأه حب الناس والحياة . فهذه الخلال والصفات الجميلة التى يتحلى بها من المؤكد أنها ستنعكس على سلوكه وأفعاله وتصرفاته نحو مجتمعه وبيئته المحيطة به .

---

( ١ ) الموطا . ( ٢ ) الحلال والحرام د . القرضاوى . ( ٣ ) صحيح مسلم .

ولعله يكون من المفيد والأجدى · أن نختم الحديث فى قضية البيئة ، بفكر رجل هداه الله تعالى إلى صراطه المستقيم ، فاتبعه ، وآمن به ، ذلكم هو الدكتور / مراد هو فمان سفير المانيا بالرباط ، وفكر هذا الرجل مجدد ومفيد ، لا لأنه اعتق الإسلام بعد مسيحيته وحسب · بل لأنه ذو ثقافة غربية عميقة أولا ، ولأنه ثانياً يتفق معنا فيما ذهبنا إليه من عدوان بعض الدول على البيئة ، وعلى حقوق الدول الأخرى فى التمتع ببيئة نظيفة · يقول الدكتـــور مراد هو فمان « السبب الحقيقى لما آلت إليه البيئة ؛ من وضع متـدهور وخيم العاقبة ، تجاوز حدود التحمل الطبيعى ، إنما هو اغترار الإنسان غير المؤمن بوجود الله اليوم بجبروته · حيث سولت له نفسه بأنه السيد المسيطر على الطبيعة والبيئة فاعتقد ذلك يقينا · وسغبُه الاستهلاكى النهم بلا حدود لكل ما يُشبع ملذاته على حساب الطبيعة · سادرا فيها لا يرعوى ولا يرعى لها حقاً · كأنما ليس لها حق ذاتى فى الوجود السليم لا تضـار ، أما المسلم فيدرك أنه لا يملك شيئاً ، وأن الملك كله لله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض ، وأن الله ذرأه فى الأرض لا ليستعبدها بالمعنى المذكور فى الإنجيل ، وإنما هى وديعة ذلول استخلفه الله ليقوم بحقها · و يستغلها استغلالا ﴿ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ العِقَابِ وإِنَّهُ لغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ·

« وبوجه عام ، فإن ذلك جميعه يفضى إلى المبدأ الذى يلح على ضرورة حفظ التوازن البيئى · كما نبه على ذلك القرآن لحكمة معلـــومة فقال تعالى : ﴿ وَلاَ تُفْسِدُوا فِى الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا ﴾ (١) .

* *

(١) الإسلام كبديل د . مراد هوفمان ، منشورات مجلة النور الكويتية .

## ( د ) حديث الذباب

يقول تعالى فى كتابه الحكيم : ﴿ لَقَدْ منَّ اللهُ عَلَى المؤْمنينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِن أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِه وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِى ضَلاَلٍ مُّبِينٍ ﴾ (١) .

لقد شرفت البشرية بأن بعث الله تعالى رسولاً من البشر يعلمها الكتاب وهو القرآن ، والحكمة وهى أحاديث الرسول الصحاح عليه صلوات الله وسلامه . وكانت أحاديث النبى عليه الصلاة والسلام حكمة لأن معنى الحديث النبوى من الله عز وجل . وإن كان لفظ الحديث من الرسول ﷺ .

فالحديث المتوافر فيه شروط الصحة والتواتر المتعلق موضوعه بالمسائل العلمية أو الطبية ، مؤيد للعلوم الطبية فى أى عصر من عصـــور تاريخ العلم أو الطب .

وحديث الذباب الذى أخرجه الإمام البخارى رضي الله عنه فى صحيحه ونصه ، عن أبى هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « إذا وقع الذباب فى إناء أحدكم فليغمسه ، ثم ليطرحه فإن فى إحدى جناحيه داء وفى الآخر شفاء » .

هذا الحديث النبوى - الذى رواه الإمام البخارى رضي الله عنه صحيح وما دام الحديث صحيحاً . فهو حجة طبية ، ودعوة للعلماء ، والباحثين فى مجالات الطب والدواء والعلاج ، أن يجدوا ، ويجتهدوا ، حتى يتبين لهم عن طريق المختبرات ، والتحاليل الطبية - الحجية الطبية والعلمية لحديث الذباب .

وقد توصل العلماء - فى العصر الحديث . وبعد قرون عديدة . وبعد جهود وبحوث مكثفة إلى الحقيقة العلمية ، التى أشار إليها معلم البشرية محمد ﷺ فى حديث الذباب منذ أربعة عشر قرناً :

١ - « فى بحث ممتع « لحضرة الأستاذ الفاضل إبراهيم أفنـدى مصطفى

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٦٤ .

عبده المعيد فى الصيدلة ، وتركيب العقاقير بكلية الطب ألقاه فى جمعيه الهداية الإسلامية يوم الخميس ٢٩ من شوال سنة ١٣٤٩ هـ - ١٩ مارس سنة ١٩٣١م وهى محاضرة طويلة نقتطف منـــها ما يأتى : قال بعد أن ذكر الحـــديث « حديث الذباب » مانصه : وقع كثير فى خطأ تكذيب هذا الحديث زاعمين عدم مطابقته للحقيقة ، وذلك قبل أن تدحض مفترياتهم الأبحاث العلمية الجديدة، منذ بضع سنين ، وتكشف عما تضمنه من بليغ الحكمة · فمعلوم أن الذباب يقع على العفونات والمواد القذرة المملوءة بالجراثيم التى تولد الأمراض المختلفة أيدرون ما هو العمل الجليل الذى خص به الذباب وسخر له · فكما أن الذباب ينقل بعض الجراثيم بملامسته مصدرها ،فإنه أيضاً يأكل منها أكثر مما ينقل وليس كل واجبه تقليل نسبة وجود الجراثيـــم فحسب ، بل إن مايتناوله منها فى فمه يتحول داخل جسمه إلى ما ســـماه علماء الطب بالبكتـــريوفاج أو « مبعد البكتريا » الـــذى ينتصر على كثير من جراثيم الأمراض ، فيبيدها عن بكرة أبيها ، ولا يمكن لتلك الجراثيم أن تبقى أو يكون لها أى تأثير فى جسم الإنسان،فى حالة وجود البكتريوفاج · فسبحان الخلاق العظيم » (١) .

وهذا دليل آخر من مصدر آخر من وراء البحار ، يشهد بالمعجزة الطبية لخاتم الأنبياء والمرسلين صلوات الله وتسليماته عليه :

٢ - « جاء بمجلة التجارب الطبية الإنجليزية عدد ١٠٣٧ عام ١٩٢٧ م قالت : لقد أطعم الذباب من زرع ميكروب بعض الأمراض ، وبعد حين من الزمن ماتت تلك الجراثيم ، واختفى أثرها ، وتكونت فى الذباب مادة مفترسة للجراثيم تسمى « بكتريوفاج » ولو عملت خلاصة من الذباب فى محلول ملحى لاحتوت على « البكتريوفاج » التى يمكنها إبادة أربعة أنواع من الجراثيم المولدة للأمراض ولا حتـــوت تلك الخلاصة أيضـــاً ، على مادة خلاف « البكتريوفاج » نافعة ضد أربعة أنواع أخرى من الجراثيم » (٢) .

---

(١) بتصرف عن « مقالات وفتاوى » للشيخ يوسف الدجوى .

(٢) المصدر السابق .

ونكتفى بهذين الشاهدين العلميين من العصر الحديث · العصر الذى يخطف بريقه وبهرجه أبصار المفتونين ، بانتصاراته واكتشافاته التكنولوجية · نقول نكتفى بهذين الشاهدين الماديين على الاعجـاز العلمى والطبى للسنة النبوية ، وكما قلنا سابقاً إن الحديث النبوى فى غنى عن شهادة الشهود ، ولكن الشهادة العلمية والمادية ومن العصر الحديث ،ربما يحتاجها « الحسيون » الذين لا يؤمنون إلا بما يدرك بالحواس الخمس ·

والحكمة النبوية من غمس أحـد جناحى الذباب ، وفى حـديث آخر « فليغمسه كله ثم ليطرحه » تتلخص - كما جاءت فى البحثين العلميين السابقين فى « ادخال البكتريوفاج فى الشراب،والبكتريوفاج تقتل الجراثيم التى تكون منها ، والمقصود بالغمس جميع جسم الذبابة لأن الحديث لم ينص على غمس الجناحين فقط » [1] .

« وهذا يدل على أن ذكر الداء والشفاء فى الجناحين لفظى ، لا يفهم منه قصر الضرر والمنفعة عليهما دون باقى الجسم ، وبما أن الجناحين جزء من الجسم ، فإن الطب لا ينفى وجود ميكـروب الداء وبكترويوفاج الشفاء فيهما » [2] وصدق الله العظيم الذى يقول ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِى الآفَاقِ وَفِى أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ [3] .

ورب مكابر أو مغالط أو علمانى يقول : وما الذى يدعونا ، أو يضطرنا إلى غمس الذباب فى الشراب - كما جاء فى الحديث الشريف - اليس الأجدى أن انطرح بعيداً كل ما انغمس فيه الذباب من طعام أو شراب ، إيثارا للنظافة وحرصاً على السلامة ·

إن أمثال هؤلاء قد اتبعوا السبل فتفرق بهم ، فغاب عن إدراكهم وفهمهم

---

(١) المصدر السابق · (٢) المصدر السابق ·

(٣) سورة فصلت : الآية ٥٣ ·

أن الإسلام دين الطهر والطهارة والنظافة يقول سبحانه وتعالى :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ ، وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ ، وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ﴾ ، وقد أسلفنا القول بإفاضة عن موقف الاسلام من النظافة فى الحديث عن نظافة البيئة ونود أن نؤكد هنـــا أن القرآن الكريم فى آيات عديدة · يحض على الطهارة ، والطهور ، فالصلاة كركن من أركان الإسلام لا تصح إلا بالوضوء ·

والرسول ﷺ القدوة الحسنة ، وأستاذ البشرية ومعلمها والشخصية النموذجية للإنسانية ، إنما أمر ، والأمر هنا للجواز ، وليس وجوبيا - بغمس الذباب الساقط فى الإناء ، لكى يعلمنا مالا نعلمه ، أو نعلمه · ولكننا غافلون عما فيه صلاح ديننا ودنيانا ، إنه عليه الصلاة والسلام - من خلال حديث الذباب يوجهنا إلى أمرين خطيرين :

أولهما : سبق الحديث عنه ، وهو أن الذباب إذا كان ناقلا للجراثيم فهو فى الوقت نفسه - إذا غمس فى المشروب - قاتل لهذه الجراثيم مبيد لها وقد شهدت بهذه المعجزة النبوية فى الطب البحوث العلمية الحديثة ·

ثانيهما : وهو رد مفحم وملقم حجراً القائلين أن الطعام أو الشراب الذى سقط فيه الذباب أحرى وأجدر بسلة المهملات ·

إن النبى محمد ﷺ ، وإن كان أمى القلم ، فهو أعلم البشرية بربه وصفاته · فقد تلقى العلم من عالم الغيب والشـــهادة ، الذى لا يخفى عليه شىء فى الأرض ، ولا فى الســـــماء · وصدق الله العظيم الذى خاطب نبيه الكـــريم قائلا له : ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيماً ﴾ [1] نعم إن الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام يريد أن يعلمنا : أن الطعام - إسلاميا - طرحه أو إهماله لا يحوز ما دام هذا الطعام نافعاً ، وإذا

---

(١) سورة النساء : الآية ١١٣ ·

كان بعض الناس الميسورى الحال يمكنهم الاستغناء عن الطعام أو الشراب الساقط فيه الذباب · فإن البعض الآخر ربما ليس باستطاعتهم الاستغناء عن هذا الطعام ، والرسول الرءوف الرحيم بالمؤمنين · الحريص على أمته ربما كان يخاطب فى حديث الذباب - هؤلاء الذين يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف فصدقت يا رسول الله ·

حقا إن للطعام حرمته واعتباره ، والواجب على الإنسان حفظه وصونه ، وإعطاؤه لمن يستحقه ، فهذه هى قيم الإسلام القائمة على التراحم والتكافل والمودة · وهذه هى حضارة الإسلام · حضارة ترفض وتنبذ الأنانية والأثرة والطغيان المادى الأعمى ، الذى تميزت بها مادية القرن العشرين هذه المادية الشرسة التى لم تتورع أن تنتهك حرمة الطعام ، فتلقى بآلاف الأطنان من القمح فى عرض البحر ، مستندة إلى ذريعة أو هى من بيت العنكبوت هى ما يسمى الحفاظ على السعر العالمى للقمح ، فى الوقت الذى تموت فيه شعوب من بنى البشر - فى أفريقيا وغير أفريقيا من الجوع والعطش والمرض والجهل ·

ثم تزعم « الحضارة الغربية قبل ذلك وبعد ذلك - أنها حارسة وحامية لحقوق الانسان فى كل مكان !!

﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ من أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا ﴾ (١) .

* * *

(١) سورة الكهف : الآية ٥ .